# شرح الأحاديث القدسية

شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح بن عثيمين

رحمه الله

جمع وتحقيق

صلاح الدين محمود السعيد

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم










دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

# مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

[ آل عمران : ١٠٢ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[ النساء : ١ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

[ الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ ] .

**أما بعد :**

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فهذا الكتاب [ **شرح الأحاديث القدسية** ] لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - حيث قمت بجمع الأحاديث التي قام فضيلته بشرحها من بطون الكتب التي ألفها فضيلته .

وقمت بتخريج آياتها وأحاديثها ، وذكر المصادر التي قام فضيلته بشرحها فيها .

وجعلت مقدمة للكتاب في تعريف الحديث القدسي لفضيلته - رحمه الله - إتماماً للموضوع .

هذا وأسأل الله عز وجل أن ينفعني والمسلمين به وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .**

جمع وتحقيق
صلاح الدين محمود السعيد
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



## تعريف الحديث القدسي

**الحديث القدسي :**

ما رواه النَّبي ﷺ عن ربه وقد أدخله المحدثون في الأحاديث النبوية لأنه منسوب إلى النَّبي ﷺ تبليغاً وليس من القرآن بالإجماع . وإن كان كل واحد منهما قد بلغه النَّبي ﷺ أمته عن الله - عز وجل - وقد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي : هل هو كلام الله تعالى . أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه واللفظ لفظ رسول الله ﷺ ؟ .

### على قولين :

**القول الأول :** أن الحديث القدسي من عند الله لفظه ومعناه لأن النَّبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى .

ومن المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله . لا سيما والنَّبي ﷺ أقوى الناس أمانة وأوثقهم رواية .

**القول الثاني :** أن الحديث معناه من عند الله ، ولفظه لفظ النَّبي ﷺ وذلك لوجهين :

**الوجه الأول :** لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظاً ومعنى لكان أعلى سنداً من القرآن . لأن النَّبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة . كما هو ظاهر السياق . أما القرآن فنزل على النَّبي ﷺ بواسطة جبريل . كما قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [ النحل : ١٠٢ ] .

وقال : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ [ الشعراء : ١٩٣-١٩٥ ] .

**الوجه الثاني :** أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله لم يكن بينه وبين القرآن فرق . لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله تعالى . والحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حيث اتفقا في الأصل .

**ومن المعلوم أن بين القرآن والحديث القدسي فروق كثيرة منها :**

■ أن الحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته . بمعنى أن الإنسان لا يتعبد لله تعالى بمجرد قراءته فلا يثاب على كل حرف منه عشر حسنات ولا تجوز قراءته في الصلاة والقرآن يتعبد بتلاوته بكل حرف منه عشر حسنات.

■ **ومنها :** أن الله تعالى تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو آية منه . ولم يرد مثل ذلك في الأحاديث القدسية.

■ **ومنها :** أن القرآن محفوظ الذكرمن عند الله تعالى .كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨ ﴾ [ الحجر : ٩ ] .

والأحاديث القدسية بخلاف ذلك ، ففيها الصحيح والحسن ، بل أضيف إليها ما كان ضعيفاً أو موضوعاً . وهذا وإن لم يكن منها لكن نسب إليها وفيها التقديم والتأخير والزيادة والنقص .

■ **ومنها :** أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين . وأما الأحاديث القدسية فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث القدسي بالمعنى والأكثرون على جوازه .

■ **ومنها :** أن القرآن تشرع قراءته في الصلاة ومنه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته . بخلاف الأحاديث القدسية .

■ **ومنها :** أن القرآن لا يمسه إلا طاهر على الأصح . بخلاف الأحاديث القدسية.

■ **ومنها :** أن القرآن لا يقرؤه الجُنب حتى يغتسل على القول الراجح . بخلاف الأحاديث القدسية .

■ **ومنها :** أن القرآن ثبت بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني . فلو أنكر منه حرفاً أجمع القراء عليه لكان كافراً . بخلاف الأحاديث القدسية فإنه لو أنكر شيئاً منه مدعياً أنه لم يثبت لم يكفر . أما لو أنكره مع علمه أن النَّبي ﷺ قاله . لكان كافراً لتكذيبه النَّبي ﷺ وأجاب هؤلاء عن كون النَّبي ﷺ أضافه إلى الله . والأصل في القول المضاف أن يكون لفظ قائله بالتسليم أن هذا هو الأصل . لكن قد يضاف إلى قائله معنى لا لفظاً . كما في القرآن الكريم . فإن الله تعالى يضيف أقوالاً إلى قائليها . ونحن نعلم أنها أضيفت معنى لا لفظاً . كما في ( قصص الأنبياء ) وغيرهم . وكلام الهدهد والنملة فإنه بغير هذا اللفظ قطعاً .

وبهذا تبين رجحان هذا القول ، وليس الخلاف في هذا كالخلاف بين الأشاعرة وأهل السُّنَّة في كلام الله تعالى لأن هذا الخلاف بين هؤلاء في أصل كلام الله تعالى. فأهل السُّنَّة يقولون : كلام الله تعالى كلام حقيقي مسموع يتكلم سبحانه بصوت وحرف، والأشاعرة لا يثبتون ذلك، وإنما يقولون : كلام الله تعالى هو المعنى القائم بنفسه وليس بحرف وصوت . ولكن الله تعالى يخلق صوتاً يعبر به عن المعنى القائم بنفسه ولا شك في بطلان قولهم . وهو في الحقيقة قول المعتزلة لأن المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق وهو كلام الله . وهؤلاء يقولون : القرآن مخلوق وهو عبارة عن كلام الله . فقد اتفق الجميع على أن ما بين دفتي المصحف مخلوق .

ثم لو قيل في مسألتنا - الكلام في الحديث القدسي -: إن الأولى ترك الخوض في هذا. خوفاً من أن يكون من التنطع الهالك فاعله، والاقتصار على القول بأن الحديث القدسي ما رواه النَّبي ﷺ عن ربه وكفى لكان كافياً ولعله أسلم والله أعلم.

**فائدة :**

إذا انتهى سند الحديث إلى الله تعالى سمي ( قدسياً ) ، لقدسيته وفضله . وإذا انتهى إلى الرسول ﷺ سمي مرفوعاً ، وإذا انتهى إلى الصحابي سمي موقوفاً ،

وإذا انتهى إلى التابعي فمن بعده سمى مقطوعاً [١] .

فقد اتفق المعتزلة [٢] والأشاعرة [٣] على أن ما بين دفتي المصحف مخلوق خلافاً لأهل السنّة والجماعة الذين أثبتوا أنه كلام حقيقي مسموع .

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١ / ٤٨ - ٥٠) .

(٢) فرقة من المتكلمين ، نشأت في أواخر العهد الأموي ، ونشطت في العهد العباسي ، لهم معتقدات فاسدة يخالفون فيها أهل السنّة والجماعة ، وشجعهم على عقائدهم الفاسدة وآرائهم الباطلة الخليفة المأمون ، واضطهد من أجلهم وعذّب أكابر الفقهاء ، وأساطين المحدثين كالإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ على سبيل المثال لا الحصر .

**ومن أهم آرائهم الفاسدة الباطلة :**

نفيهم صفات المعاني كالسمع والبصر والكلام ، ومن هنا وقعوا في فرية خلق القرآن خلافًا لأهل السنّة والجماعة الذين يثبتون لله أسماءه وصفاته ، كما وردت في القرآن والسنّة كما أثبتها ـ عز وجل ـ لنفسه دون تأويل أو تعطيل.

(٣) فرقة من المتكلمين والفلاسفة ، سُموا بالأشاعرة نسبةً إلى أبي الحسن الأشعري شيخ طائفتهم ، ظهروا في البصرة في القرن الثالث الهجري ، حيث تتلمذ شيخُهم على علماء المعتزلة ، وقال برأيهم في بدايته ، ثم خالفهم في كثير من المسائل ، وقد خالف أهل الحديث في الاعتماد على الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ، طريقة لإثبات العقائد .

وقد استقر الأمر عند أهل الحديث أن العقائد لا تؤخذ إلا من القرآن والسنّة ، فهما وحيٌ معصومٌ من الضلال ، أوحى به الله ـ تعالى ـ لهداية العباد ورشادهم .

## النهي عن سب الدهر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ . قـال الله تعـالى : « **يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار** » . وفي رواية : « **لا تسبوا الدهر ، فإن الله هو الدهر** »[1] .

### الشرح :

**قوله : { قال الله تعالى }** تعالى من العلو . وجاءت بهذه الصيغة للدلالة على ترفعه - جل وعلا - عن كل نقص وسفل . فهو متعال بذاته وصفاته وهى أبلغ من كلمة علا . لأنها تحمل معنى الترفع والتنزه عما يقوله المعتدون علواً كبيراً .

**قوله : { يؤذيني ابن آدم }** : أي يلحق بي الأذى فالأذية لله ثابتة ويجب علينا إثباتها لأن الله أثبتها لنفسه فلسنا أعلم من الله بالله ، ولكنها ليست كأذية المخلوق بدليل قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ « الشورى : ١١» .

وقدم النفي في هذه الآية على الإثبات لأجل أن يرد الإثبات على قلب خال من توهم المماثلة ويكون الإثبات حينئذ على الوجه اللائق به تعالى وأنه لا يماثل في صفاته كما لا يماثل في ذاته وكل ما وصف الله به نفسه . فليس فيه احتمال للتمثيل إذ لو كان احتمال التمثيل جائزاً في كلامه سبحانه وكلام رسوله فيما وصف به نفسه . لكان احتمال الكفر جائزاً في كلامه سبحانه وكلام رسوله .

**قوله : { ابن آدم }** : شامل للذكور والإناث . وآدم هو أبوالبشر . خلقه الله تعالى من طين وسواه ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء كلها .

واعلم أنه من المؤسف أنه يوجد فكرة مضلة كافرة . وهي أن الآدميين نشئوا من قرد لا من طين . ثم تطور الأمر بهم حتى صاروا على هذا الوصف . ويمكن على

(١) رواه البخاري (٤٨٢٦) ومسلم ( ٤٤٦).

مر السنين أن يتطوروا حتى يصيروا ملائكة وهذا القول لا شك أنه كفر وتكذيب صريح للقرآن [(١)] .

فيجب علينا أن ننكره إنكاراً بالغاً . وألا ندرسه في كتب المدارس .

فمن زعم هذه الفكرة يقال له : بل أنت قرد في صورة إنسان . ومثلك كما قال الشاعر :

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله وتزويجه بنتيه بابنيه في الخنا
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر وأن جميع الناس من عنصر الزنا

وأجابه بعض العلماء فقال أنت الآن أقررت أنك ولد زنا وإقرارك على نفسك مقبول وعلى غيرك غير مقبول . ومثلك كما قال الشاعر : .

كذلك إقرار الفتي لازم له وفي غيره لغو كما جاء شرعنا

ولكن أنا في الحقيقة يؤلمني أن يوجد هذا بين أيدي شبابنا فبعض الناس أخذوا به على أنه أمر محتمل والواقع أنه لا يحتمل سوى البطلان والكذب والدس على المسلمين بالتشكيك بما أخبرهم الله به عن خلق آدم وبنيه وأيضاً مما يحذر عنه كلمة ( فكر إسلامي ) ، إذ معنى هذا أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا ندرى والإسلام شرع من عند الله وليس فكراً لمخلوق .

**قوله :** [ **يسب الدهر** ] .الجملة تعليل للأذية أو تفسير لها . أي بكونه يسب الدهر . أي : يشتمه ويقبحه ويلومه وربما يلعنه – والعياذ بالله – يؤذي الله .

**والدهر** : هو الزمن والوقت . وقد سبق بيان أقسام سب الدهر .

**قوله :** [ **وأنا الدهر** ] أي : مدبر الدهر ومصرفه . قال تعالى ﴿ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ « آل عمران : ١٤٠ » .

(١) هي ما عرف بنظرية النشوء والارتقاء من ادعاء داروين عالم الأحياء اليهودي ، وثبت فسادها علمياً .

ولقوله في الحديث : { **أقلب الليل والنهار** } .

والليل والنهار هما الدهر . ولا يقال بأن الله هو الدهر، ومن قال ذلك فقد جعل الخالق مخلوقاً والمقلب بفتح اللام مقلباً بكسر اللام فإن قيل أليس المجاز ممنوعاً في كلام الله وكلام رسوله وفي اللغة ؟ .

**أجيب :** إن الكلمة حقيقة في معناها الذي دل عليه السياق والقرائن . وهنا في الكلام محذوف تقديره: وأنا مقلب الدهر لأنه فسره بقوله: { **أقلب الليل والنهار** }.

والليل والنهار هما الدهر ولأن العقل لا يمكن أن يجعل الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول . المقلب هو المقلب . وبهذا عرف خطأ من قال : إن الدهر من أسماء الله . كابن حزم ـ رحمه الله ـ [1] .

فإنه قال : { **إن الدهر من أسماء الله** } . وهذه غفلة عن مدلول هذا الحديث . وغفلة عن الأصل في الأسماء فأما مدلول الحديث فإن القائلين بذلك لم يريدوا أن الذي يهلكهم هو الله . وإنما أرادوا مرور الزمن . فالدهر هو الزمن في مرادهم .

**وأما الأصل في الأسماء :** فالأصل في أسماء الله أن تكون حسنى أي : بالغة في الحسن أكمله . فلابد أن تشتمل على وصف ومعنى هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة ولهذا لا تجد في أسماء الله تعالى اسماً جامداً ابداً . لأن الاسم الجامد ليس فيه معنى أحسن أو غير أحسن . لكن أسماء الله كلها حسنى : فيلزم من ذلك أن تكون دالة على معان والدهر اسم من أسماء الزمن ليس فيه معنى إلا أنه اسم زمن .

**وعلى هذا فينتفي أن يكون اسم الله تعالى لوجهين :**

**الأول :** أن سياق الحديث يأباه غاية الإباء .

---

(١) **ابن حزم** : محمد بن حزم الظاهري من علماء الأندلس ، وأئمة المذهب الفقهي المعروف بمذهب أهل الظاهر ، وصاحب كتاب « المحلى » في الفقه .

**الثـاني :** أن أسمـاء الله حسنى والدهر اسم جـامد لا يحمل مـعنى إلا أنه اسم للأوقات فلا يحمل المعنى الذي يوصف بأنه أحسن وحينئذ فليس من أسماء الله تعالى بل إنه الزمن . ولكن مقلب الزمن هو الله . ولهذا قال :{ **أقلب الليل والنهار** } .

قوله { **أقلب الليل والنهار** } :

أي ذواتهمـا وما يحدث فيـهما . فـالليل والنهار يقلبان من طول إلى قـصر إلى تساو والحوادث تتقلب فيه في الساعة وفي اليوم وفي الأسبوع وفي السنة .

قال تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)** ﴾ .

« آل عمران : ٢٦ » .

وهذا أمر ظاهر وهذا التقلب له حكمة قـد تظهر لنا وقد لا تظهر لأن حكمة الله أعظم من أن تحيط بها عقولنا . ومـجرد ظهور سلطان الله - عز وجل - وتمام قدرته هو من حكمة الله لأجل أن يخـشى الإنسان صاحب هذا السلـطان والقدرة فيتـضرع ويلجأ إليه .

قوله : { **وفي رواية : لا تسبـوا الدهر . فإن الله هو الدهر** } . وفائدة هذه الرواية أن فيها التصريح في النهي عن سب الدهر .

قوله : { **فإن الله هو الدهر** } . وفي نسخة : { **فإن الدهر هو الله** } .

والصواب : { **فإن الله هو الدهر** } .

وقوله : { **فإن الله هو الدهر** } أي : فإن الله هو مـدبر الدهر ومصـرفه . وهذا تعليل للنهي . ومن بلاغـة كلام الله ورسوله قـرن الحكم بالعلة لبيـان الحكمة وزيادة الطمأنينة . ولأجل أن تتعدى العلة إلى غيرها فيما إذا كان المعلل حكماً . فهذه ثلاث فوائد في قرن العلة بالحكم [١].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (١٠ / ٨٢٣ - ٨٣١) .

## النهي عن الشرك

عن أبي هريرة ﷺ قال : سمـعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عـمل عملاً أشرك فيه معي غيـري تركته وشركه** » رواه مسلم ( ٢١٨٥ ) .

### الشرح :

هذا الحديث سـمي عند العلماء حديث قـدسي ، وهو الذي يرويه النَّبي ﷺ عن ربه فيقول : قال الله تعـالى كذا ، لأن الأحاديث التي تروي عن الرسول ﷺ إما أن ينسبها الرسول ﷺ إلى الله فتسمى أحاديث قدسية ، وإما ألا ينسبها إلى الله فتـسمـى أحاديث نبـوية . هذا الحديث القـدسي يقول الله تعـالى فـيه : { **أنا أغنى الشركـاء عن الشرك** } ، الشركـاء كل محتـاج إلى الآخر وكل محـتاج إلى شركـته ونصيبه وحصته لا يتنازل أحد للآخر عن نصيبه، فمثلاً دار بين اثنين كل منهما محتاج للأخر ، لو حصل في الدار خلل أو احتاجت إلى تعـمير صار الشريك لابد أن يقول لشريكه الثاني أعطني ، أعطني نصيبي حتى نعمـر البيت ، وصار كل إنسان متمسكاً بنصيبه من هذا البيت . أمـا الله تعالى فهو الغني عن كل شيء ، غني عن العالمين ، إذا عمل الإنسان عملاً لله ولغير الله تركه الله ، لو صلى الإنسان لله وللناس لم يقبل الله صلاته ، لا يقال : إنه يقبل نصفها ويترك نصفها ، أو يقبلها قبولاً نصفياً ، لا ، لا يقبلها أبداً ، لو تصـدق الإنسان بصدقة يرائي بها الناس فـإنها لا تقبل منه ، لأن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك ، إذا عمل الإنسان عـملاً أشرك فيه مع الله غيره فإن الله لا يقبله منه .

وفي هذا دليل على أن الرياء إذا شـارك العبادة فـإنها لا تقـبل ، فلو أن الإنسان صلى أول ما صلى وهو يرائي الناس لأجل أن يقولوا : فـلان ماشاء الله يتطوع يصلى ويكثر الصلاة . فـإنه لاثواب له في صلاته ولا يقبلها الله عـز وجل ، حتى لو أطال

ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها وصار لا يتحرك ،صارت عينه في موضع السجود فهي غير مقبولة ، لماذا ؟ لأنه أشرك مع الله غيره يصلي لله والناس ، فالله غني عن عبادته سبحانه وتعالى ، لا يقبل كذلك رجل تصدق صار يمشي على الفقراء ويعطيهم لكنه يرائي الناس من أجل أن يقولوا : فلان والله ما شاء الله رجل جواد كريم يتصدق ، فهذا أيضاً لا يقبل منه . وإن أنفق ماله كله لأن الله يقول : « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه** »، وعلى هذا فقس ، لكن إن طرأ الرياء على الإنسان ، يعني رجل مخلص شرع في الصلاة ثم صار في قلبه شيء من الرياء ، فهذا إن دافعه لا يضره ، لأن الشيطان يأتي للإنسان في عبادته التي هو مخلص فيها من أجل أن يفسدها عليه بالرياء هذا لا يضر ولا ينبغي أن يكون ذليلاً أمام ما يلقيه الشيطان من الرياء ، بل يجب أن يصمد وأن يستمر في عبادته ، لا يقول : والله أنا صار معي رياء أخاف أن تبطل ، لا بل يستمر والشيطان إذا دحرته اندحر ﴿ **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** ﴾ [ الناس : ٤ ] .

الذي يخنس ويولي مدبراً إذا رأي العزيمة ، فأنت اعزم ولا يهمك ، هذا لا يضرك أما إذا طرأ عليه الرياء ، بعد أن بدأ الصلاة مخلصاً لله ثم طرأ عليه الرياء واستمر على الرياء والعياذ بالله فإنها تبطل الصلاة كلها من أولها إلى آخرها، لأنها أي الصلاة ، إذا بطل آخرها بطل أولها .

فاحذر من الرياء ، والحذر الحذر من ترك العبادة خوفاً من الرياء ،لأن بعض الناس أيضاً يأتيه الشيطان يقول له : لا تقم تصلي، لا تقرأ ، صار هذا رياء . لا يكن عليك السكينة والوقار هذا رياء ، من أجل ماذا ؟ ، من أجل أن يصده عن هذا العمل الصالح ، فعلينا ألا ندع للشيطان مجالاً ، يفعل يقدم يصلي يكون عليه السكينة والوقار ولا يضرنا هذا ، وهو إذا كافح الشيطان ولم يقم به ، ففي النهاية يخنس ، يخنس الشيطان ويتراجع ويتقهقر ، فالإنسان في الحقيقة محاط بأمرين: أمر قبل الإقدام على العبادة يثبطه الشيطان يقول : لا تعمل هذا رياء ترى الناس

يمدحونك ، وأمر ثان بعد أن يشرع في العبادة يأتيه الشيطان أيضاً فعليه أن يدحض الشيطان ، وأن يستعيذ بالله منه وأن يمضي في سبيله وألا يفترّ ، فإن قال قائل : إذا فرغ الإنسان من العبادة وسمع الناس يثنون عليه وفرح بهذا ،هل يضره ؟ .

**فالجواب :**

لا يضره لأن العبادة وقعت سليمة وكون الناس يثنون عليه هذا من عاجل بشرى المؤمن أن يكون محل الثناء من الناس ، لكن هذا بعد أن ينتهي من العبادة نهائياً ، سمع الناس يثنون عليه يقول : ( الحمد لله الذي جعلني محل الثناء بالخير ) ، كذلك أيضاً لو أن الإنسان فعل العبادة ولما انتهى منها سر بها ،فهل نقول: هذا السرور يبطل العمل ؟ لا ما يضره لأن الإعجاب أن الإنسان إذا فرغ من العبادة أعجب بنفسه. . . ومنَّ على الله بها ، هذا هو الذي يبطل عمله والعياذ بالله ، لكن هذا الإنسان ما خطر على باله هذا ، ولكن حمد الله وفرح أن الله يوفقه إلى الخير ، هذا لا يضره ، ولهذا جاء في الحديث « **من سرته حسنته وساءته سيئته ، فذلك المؤمن** » [١] [٢].



(١) صحيح رواه الترمذي ( ٢١٦٥ ) وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » .
(٢) شرح الحديث رقم (١٦١٦) من « رياض الصالحين » .

## النهي عن الشرك وقول مطرنا بنوء كذا

عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : « **صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادي مؤمن بي ، وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب** »[1].

### الشرح :

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ، أنهم كانوا مع النَّبي ﷺ في الحديبية ، والحديبية غزوة مشهورة ومعروفة ، وذلك أن النَّبي ﷺ خرج إلى مكة معتمراً ومعه الإبل – الهدي – ، فلما وصل إلى الحديبية وهي أرض بين الحل والحرم ، منعته قريش أن يدخل مكة ، وجرى بينهم وبين النَّبي ﷺ ما هو معروف من المصالحة ، لكن في إحدى الليالي ، صلى بهم النَّبي ﷺ صلاة الصبح على إثر المطر ، فلما انصرف من صلاته أقبل عليهم وقال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، وإنما ألقى عليهم هذا السؤال من أجل أن ينتبهوا ، لأن إلقاء الأسئلة يوجب الانتباه . قالوا الله ورسوله أعلم ، وهكذا كل إنسان يجب عليه إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية ،أما الأمور الكونية القدرية ، فهذا لا يقول : ورسوله أعلم ، لأن النَّبي ﷺ لا يعلم الغيب ، كما مثلا لو قال قائل : أتظن المطر ينزل غداً ؟ تقول : الله أعلم ، ولا تقل الله ورسوله أعلم ، لأن الرسول ﷺ لا يعلم مثل هده الأمور ،لكن لو قال لك :هل هذا حلال أم حرام ؟ تقول : الله ورسوله أعلم لأن النَّبي ﷺ عنده علم الشريعة .المهم أنهم قالوا : الله ورسوله أعلم وهذا من الأدب ، قال : قال، يعني الله عز وجل :« **أصبح من عبادي**

(١) البخاري ( ٨٤٦) مسلم ( ٧١).

**مؤمن بي وكافر بي** » يعني في تلك الليلة قال الله ـ عز وجل ـ فيما أوحاه إلى نبيه : « **أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب** » والباء هنا للسببية يعني معناه أنك إذا أضفت المطر إلى النوء ، فقلت : هذا النجم نجم بركة وخير ، يأتي بالمطر ، فهذا حرام عليك كفر بالله عز وجل ، وإضافة للشيء إلى سببه مع نسيان المسبب وهو الله عز وجل .

**وأما إذا قلت:** مطرنا بفضل الله ورحمته في هذا النوء ، فلا بأس ، لأن هذا اعتراف منك بأن المطر بفضل الله ولكنه صار في هذا النوء ، كثير من العامة عندنا يقولون : مطرنا بفضل كذا وكذا . . . ، وليسوا يقصدون السببية وإنما يقصدون الظرفية ، أي أن المطر صار في هذا الوقت وهذا لا بأس به . وأما إذا جعل الباء للسببية فهذا كفر بالله وإيمان بالكواكب ، ثم إن اعتقد أن الكوكب هو الذي يأتي بالمطر ، فهذا كفر أكبر مخرج عن الملة، وإن اعتقد أن الكوكب هو الذي يأتي بالمطر ، فهذا كفر بنعمة الله وليس كفراً مخرجاً عن الملة . وفي هذا الحديث نعرف أنه ينبغي للإنسان إذا جاء المطر أن يقول : مطرنا بفضل الله ورحمته . والله الموفق [1] .



(١) شرح الحديث رقم (١٧٣١) من « رياض الصالحين » .

## الريــــاء

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتي به ، فعرَّفه نعمته ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت: قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأتي به فعرفه نعمه ، فعرفها . فقال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار** »[1] .

### الشرح :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن ذكر أول من يقضى عليه يوم القيامة ، وهم ثلاثة أصناف: متعلم ومقاتل ومتصدق ، المتعلم تعلم العلم وعلم القرآن وعلم ثم إن الله سبحانه وتعالى أتى به إليه سبحانه وتعالى يوم القيامة فعرفه الله نعمته فعرفها وأقر واعترف ، فسأله ماذا صنعت ؟ يعني في شكر هذه النعمة ، فقال : تعلمت العلم وقرأت القرآن فيك ، فقال الله له كذبت ، ولكن تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت ليقال : قارئ ، ليس لله بل لأجل الرياء ، ثم أمر به فسحب على وجهه في النار ، وهذا دليل على أنه يجب على طالب العلم أن يخلص نيته لله عز وجل وألا يبالي

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥) .

أقال الناس أنه عالم أو شيخ أو أستاذ أو مجتهد أو ما أشبه ذلك . لا يهمه هذا الأمر، لا يهمه إلا رضا الله عز وجل وحفظ الشريعة وتعلمها ورفع الجهل عن عباد الله حتى يكتب من الشهداء الذين مرتبتهم بعد مرتبة الصديقين .

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ﴾ « النساء : ٦٩ » .

وأما من تعلم لغير ذلك ، ليقال إنه عالم وإنه مجتهد وإنه علامة وما أشبه ذلك من الألقاب فهذا علمه حابط والعياذ بالله ، وهو أول من يقضى عليه ويسحب على وجهه في النار ويكذب يوم القيامة ويوبخ ، أما الثاني فهو رجل مقاتل . قاتل في سبيل الله وقتل ، فلما كان يوم القيامة أتي به إلى الرب عز وجل فعرفه نعمه فعرفها يعني النعم أنه سبحانه وتعالى أعطاه وأعده ورزقه وقواه حتى وصل إلى هذه المرتبة إلى أن قاتل ، ثم سئل ماذا صنعت فيها ؟ قال : يارب قاتلت فيك ، فيقال : كذبت ، قاتلت من أجل أن يقال فلان شجاع جريء ، وقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه في النار والعياذ بالله ، وهكذا شأن المقاتل في رياءٍ فالمقاتلون لهم نوايا متعددة «**من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله**» [1] ، كما قال النّبي ﷺ ، ومن قاتل وطنية ففي سبيل الطاغوت ، ومن قاتل حمية على قومية فهو في سبيل الطاغوت ، ومن قاتل لينال دنيا فهو في سبيل الطاغوت ، لأن الله يقول : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ** ﴾ . « النساء : ٧٦ » .

لكن لو قاتل الإنسان قومية أو وطنية ، لا من أجل القومية ولا من أجل الوطنية ، ولكن من أجل حماية وطنه المسلم أن يعتدي عليه الكفار فهذا في سبيل الله ، لأن حماية بلاد المسلمين ونصرتها تعد في جملة أن تكون كلمة الله هي العليا ، وكذلك حماية المسلمين ونصرتهم ، ولكن لو أن الإنسان قاتل ليقتل فقط في هذا

---

(١) البخاري ( ٢٨١٠) مسلم (١٩٠٤) .

القتال ، هل يكون في سبيل الله ؟ .

**الجواب :**

لا ، وهذه نية كثير من الشبـاب يذهبون لأجل أن يقتلوا ويقولون : نحن نقتل شهداء ، فيقال : لا ، أنتم ذهبتم لتـقاتلوا ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ولو بقيتم ، لا تذهبوا لأجل أن تقـتلوا لكن لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا وحينئـذ إن قتلتم في السبيل فأنتم في سبيل الله .

أما الثالث فرجل أنعم الله عليه بالمال وصار يتصدق ويعطي وينفق فإذا كان يوم القيـامة أتي به إلى الله وعرفه نعـمه فعرفـها ثم سأله ماذا صنعت فـيها ؟ فيـقول : تصدقت وفعلت وفعلت، فيقال :كذبت ولكنك فعلت ليقال فلان جواد يعني كريماً ، وقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه في النار . هذا أيضاً من الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة . وفي هذا دليل على أنه يجب على الإنسان أن يخلص النية لله في جميع ما يبـذله من مال أو بدن أو علم أو غيره ، وأنه إذا فعل شيـئاً مما يبتغى به وجه الله تعالى وصرفه إلى غير ذلك فإنه آثم به [١] .



(١) شرح الحديث رقم (١٦١٧) من «رياض الصالحين» .

## فضل
## لا إله إلا الله

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما - أنهما شهدا على رسول الله إنه قال: « **من قال : لا إله إلا الله والله أكبر ، صدقه ربه ، فقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : يقول لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي . وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال : لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد . وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال : لا إله إلا انا ، ولا حول ولا قوة إلا بي** » **وكان يقول** : « **من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار** » رواه الترمذي [1] وقال حديث حسن .

### الشرح :

هذا آخر حديث نقله النووي - رحمه الله - في كتابه « رياض الصالحين » في باب : « ما يدعى به للمريض» وقد سبقت الأحاديث فيما يدعو به العائد للمريض. أما هذا فيما يدعو به المريض لنفسه ، إذا قال هذا الذي ذكره أبوهريرة وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهما - عن النَّبي ﷺ في أن الله سبحانه وتعالى يصدق العبد إذا قال : « **الله أكبر ، لا إله إلا الله** » **قال الله** : « **إنه لا إله إلا أنا ، وأنا أكبر** » ، **وإذا قال** : « **الله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله** » كذلك يصدقه الله في هذا وقال : « **لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله** » ثم مات مع بقية الذكر فإنه لا تطعمه النار ، أي : يكون ذلك من أسباب تحريم الإنسان على النار ، وينبغي للإنسان أن يحفظ هذا الذكر ، وأن يكثر منه في حال مرضه حتى يختم له إن شاء الله تعالى بخير . والله الموفق [2].

(١) رقم (٣٤٣٠) وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٣٦٧) .
(٢) شرح الحديث رقم (٩٠٩) من « رياض الصالحين » .

## فضل
## لا إله إلا الله

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **قال موسى عليه السلام : يارب !علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به .قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله، قال يارب ! كل عبادك يقولون هذا ؟ قال : يا موسى ! لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة و ( لا إله إلا الله ) في كفة . مالت بهن لا إله إلا الله** »[1] .

### الشرح :

قوله « **أذكرك وأدعوك به** » صفة لشيء وليست جواب الطلب فموسى عليه السلام طلب شيئاً يحصل به أمران :

{ ١ } ذكر الله .

{ ٢ } دعاؤه .

فأجابه الله بقوله : « **قل لا إله إلا الله** » . وهذه الجملة ذكر متضمن للدعاء . لأن الذاكر يريد رضا الله عنه والوصول إلى دار كرامته، إذاً فهو ذكر متضمن للدعاء.

**قال الشاعر :**

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

يعني : عطاؤك . واستشهد ابن عباس على أن الذكر بمعنى الدعاء .

**يقول الشاعر :**

إذا أثنى عليك العبد يوماً ... كفاه من تعرضه الثناء

---

(١) رواه النسائي في «اليوم والليلة » (٢٣٢٤) والحاكم(١ / ٥٢٨ ) وصححه وذكره الهيثمي في « المجمع » ( ١٠ / ٨٢) وقال وفيه دراج أبو السمح ، ضعيف .

قوله : « **كل عبادك يقولون هذا** » . ليس المعنى إنها كلمة هينة كل يقولها لأن موسى عليه الصلاة السلام يعلم عظم هذه الكلمة ولكنه أراد شيئاً يختص به . لأن تخصيص الإنسان بالأمر يدل على منقبة له ورفعة . فبين الله لموسى أنه مهما أعطي فلن يعطى أفضل من هذه الكلمة وأن « لا إله إلا الله » أعظم من السموات والأرض وما فيهن تميل بهن وترجح .

فدل ذلك على فضل « لا إله إلا الله » وعظمها لكن لابد من الإتيان بشروطها أما مجرد أن يقولها القائل بلسانه . فكم من إنسان يقولها لكنها عنده كالريشة لا تساوي شيئاً لأنه لم يقلها على الوجه الذي تمت به الشروط وانتفت به الموانع.

قوله : « **والأرضين السبع** » . في بعض النسخ بالرفع . وهذا لا يصلح لأنه إذا عطف على اسم أن قبل استكمال الخبر وجب النصب .

قوله : « **مالت** » . أي : رجحت حتى يملن .

قوله : « **عامرهن** » . أي : ساكنهن . فالعامر للشيء هو الذي عمر به الشيء.

قوله : « **غيري** » . استثنى نفسه تبارك وتعالى . لأن قول « لا إله إلا الله » ثناء عليه ، والمثنى عليه أعظم من الثناء . وهنا يجب أن تعرف أن كون الله في السماء ليس ككون الملائكة في السماء كون « احتياج » . فهم ساكنون في السماء لأنهم محتاجون إلى السماء . لكن الرب تبارك وتعالى ليس محتاجاً إليها . بل إن السماء وغير السماء محتاج إلى الله تعالى . فلا يظن ظان أن السماء تقل الله أو تظله أو تحيط به.

وعليه فالسموات باعتبار الملائكة أمكنة للملائكة، وما فوقهم منها مظل لهم أما بالنسبة لله.فهي جهة[١] لأن الله تعالى مستو على عرشه لا يقله شيء من خلقه[٢].

---

(١) إذا قصد بالجهة أمر وجودي فليس الله فى جهة بهذا المعنى . وإن قصد بالجهة أمر عدمى ... فالله فى السماء بهذا المعنى . ممدوح المنشاوى .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١ / ٤٥-٤٨) .

## النهي عن التألي على الله

عن جندب بن عبد الله ﷺ – قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان . فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك** » رواه مسلم ( ٢٦٢١ ).

### الشرح :

حديث جندب بن عبد الله ﷺ أن النَّبي ﷺ أخبر أن رجلاً قال : « **والله لا يغفر الله لفلان** ». وكان هذا الرجل عابداً معجباً بعمله محتقراً لأخيه الذي رآه مفرطاً. فأقسم أن الله لا يغفر له . فقال الله عز وجل : « **من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان** » .

يعني من ذا الذي يحلف عليّ أن ألا أغفر لفلان . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء أعوذ بالله . تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته وأهلكته . لأنه قال ذلك معجباً بنفسه محتقراً لأخيه فأقسم أن الله لا يغفر له فغفر الله لهذا الرجل . لأن معاصيه دون الشرك ، أو لأن الله تعالى منَّ عليه فتاب ، وأما الآخر فأحبط عمله لأنه أعجب بعمله والعياذ بالله وتألي على ربه وأقسم عليه أن لا يغفر لفلان ، والله تعالى كامل السلطان ، لا يتألى عليه أحد ولكن إذا حسن ظن المرء بربه وتألى على الله في أمر ليس فيه عدوان على الغير فإن النَّبي ﷺ قال : « **رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره** » . والله الموفق [١] .



(١) شرح الحديث رقم (١٥٧٦) من «رياض الصالحين » .

## الإيمان بالقدر

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك . وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ماخلق الله القلم ، فقال له اكتب ، فقال : رب ! وماذا أكتب ؟ ، قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة** » .

يابني سمعت رسول الله ﷺ يقول « **من مات على غير هذا فليس مني** » رواه أبو داوود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) وصححه الألباني في المشكاة (٩٤) .

وفي رواية لأحمد : « **إن أول ما خلق الله تعالى القلم . فقال له : اكتب فجري في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة** » أحمد (٥ / ٣١٧) .

### الشرح :

أفاد هذا الحديث أنه ينبغي للأب أن يسدي النصائح لأبنائه ولأهله وأن يختار العبارات الرقيقة التي تلين القلب . حيث قال : « **يا بني** » وفي هذا التعبير من اللطافة وجذب القلب ما هو ظاهر .

**قوله :** « **لن تجد طعم الإيمان** » هذا يفيد أن للإيمان طعماً كما جاءت به السُّنَّة . وطعم الإيمان ليس كطعم الأشياء المحسوسة ، فطعم الأشياء المحسوسة إذا أتى بعدها طعام آخر أزالها . لكن طعم الإيمان يبقى مدة طويلة حتى إن الإنسان أحياناً يفعل عبادة في صفاء وحضور قلب وخشوع لله ـ عز وجل ـ فتجده يتطعم بتلك العبادة مدة طويلة . فالإيمان له حلاوة وله طعم لا يدركه إلا من أسبغ الله عليه نعمته بهذه الحلاوة وهذا الطعم .

**قوله :** « **حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك** » . قد تقول : ما أصابني لم يكن ليخطئني . هذا تحصيل حاصل . لأن الذي أصاب الإنسان أصابه فلابد أن

نعرف معنى هذه العبارة . فتحمل هذه العبارة على أحد معنيين أو عليهما جميعاً :

**الأول :** أن المعني : « **ما أصابك** » أي : ماقدر الله أن يصيبك فعبر عن التقدير بالإصابة لأن ما قدر الله سوف يقع . فما قدر الله أن يصيبك لم يكن ليخطئك مهما عملت من أسباب .

**الثاني :** « **ما أصابك** » . فلا تفكر أن يكون مخطئاً لك . فلا تقل : لو أنني فعلت كذا ما حصل كذا . لأن الذي أصابك الآن لا يمكن أن يخطئك فكل التقديرات التي تقدرها وتقول : لو أني فعلت كذا ما حصل كذا هي تقديرات يائسة لا تؤثر و أيا كان . فالمعنى صحيح على الوجهين فما قدره الله أن يصيب العبد فلابد أن يصيبه ولا يمكن أن يخطئه وما وقع مصيباً للإنسان فإنه لم يمنعه شيء . فإذا آمنت هذا الإيمان ذقت طعم الإيمان . لأنك تطمئن وتعلم أن الأمر لابد أن يقع على ما وقع عليه . ولا يمكن أن يتغير أبداً .

**مثال ذلك :** رجل خرج بأولاده للنزهة . فذهب بعض الأولاد إلى بركة عميقة فسقط فغرق فمات . فلا يقول : لو أنني ما خرجت ما مات الولد . بل لابد أن تجري الأمور على ماجرت عليه ولا يمكن أن تتغير ، فما أصابك لم يكن ليخطئك فحينئذ يطمئن الإنسان ويرضى ويعرف أنه لا مفر وأن كل التقديرات والتخيلات التي تقع في ذهنه كلها من الشيطان . فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا فإن « لو » تفتح عمل الشيطان . وحينئذ يرضى ويسلم وقد أشار الله إلى هذا المعني في قوله : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ « الحديد ٢٢ - ٣٣ » .

فأنت إذا علمت هذا العلم وأيقنته بقلبك ذقت حلاوة الإيمان واطمأننت واستقر قلبك وعرفت أن الأمر جار على ما هو عليه لا يمكن أن يتغير . ولهذا كثيراً مايجد الإنسان أن الأمور سارت ليصل إلى هذه المصيبة . فتجده يعمل أعمالاً لم يكن من

عـادته أن يعملهـا حـتى يصل إلى ما أراد الله ـ عـز وجل ـ مما يدل على أن الأمـور بقضاء الله وقدره .

قوله : « **وما أخطأك لم يكن ليصيبك** » .نقول فيه مثل الأول . يعني : ما قدر أن يخطئك فلن يصيبـك . فلو أن أحداً سمع بموسم تجارة في بلد ما وسـافر بأمواله لهـذا الموسم فلما وصل وجـد أن الموسم قد فـات . نقول له : مـا أخطأك من هذا الربح الذي كنت تعد له لم يكن ليصـيبك مهما كان ومهـما عملت . أو نقول : لم يكن ليصيبك . لأن الأمر لابد أن يجري على ما قضاه الله وقدره .

وأنت جرب نفسك تجد أنك إذا حـصلت على هذا اليقين ذقت حلاوة الإيمان . ثم استـدل لما يقول بـقوله : « **سـمعت رسـول الله ﷺ يقول : إن أول مـا خلق الله القلم** » . القلم بالرفع . وروي بالنصب . فعلى رواية الرفع يكون المعنى : أن أول ما خلق الله هو القلم لكن ليس من كل المخلوقات كما سنبينه إن شاء الله .

**وأمـا على روايـة النصب فـيكون المعنـى :** أن الله أمـر القلم أن يكتب عند أول خلقه له الله يعني- : خلقه ثم أمره أن يكتب على هذا المعنى لا إشكال فيه لكن على المعنى الأول الذي هو الرفع : هل المراد أن أول المخلوقات كلها هو القلم ؟ .

**الـجواب :**

لا . لأننا لو قلنا إن القلم أول المخلوقـات ، وإنه أمر بالكتابة عنـدما خلق لكنا نعلم ابتـداء خلق الله للأشـيـاء . وأن أول بدء خلق الله كـان قبل خلق الـسمـوات والأرض بخمـسين ألف سنة ونحن نعلم أن الله - عـز وجل - خلق أشيـاء قبل هذه المدة بأزمنة لا يعلمـها إلا الله - عز وجل - لأن الله - عـز وجل - لم يزل ولا يزال خالقاً . وعلى هذا . فيكون : إن أول ما خلق الله القلم يحتاج إلى تأويل ليطابق ما علم بالضرورة من أن الله تعالى له مخلوقات قبل هذا الزمن .

**قال أهل العلم :** وتأويله إن المعنى : أن أول ماخلق الله القلم بالنسبة لما نشاهده

فقط من المخلوقات، كالسموات والأرض ،فهى أولية نسبية، وقد قال ابن القيم في نونيته :

والناس مختلفون في القلم الذي هل كتب القضاء به من الديان
كان قبل العرش أو هو بعده قولان عند أبي العلا الهمذاني
والحق أن العرش قبل لأنه قبل الكتابة كان ذا أركان

قوله : « **فقال له : اكتب** » ، القائل هو الله - عز وجل - يخاطب القلم ، والقلم جماد . لكن كل جماد أمام الله مدرك وعاقل ومريد والدليل على هذا قوله في سورة فصلت : ﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا** ﴾ . أي : لابد أن تنقاد لأمر الله طوعاً أو كرهاً فكان الجواب : ﴿ **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ . « فصلت : ٩:١١ » فقد خاطب الله السموات والأرض وأجابتا ودل قوله : ﴿ **طَائِعِينَ** ﴾ على أن لها إرادة وأنها تطيع ، فكل شيء أمام الله فهو مدرك مريد ويجيب ويمتثل .

قوله : « **قال : ربي وماذا أكتب ؟** » ، « **ماذا** » اسم استفهام مفعول مقدم و« **أكتب** » . فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة . هذا إذا ألغيت « **ذا** » أما إذا لم تلغ فنقول « **ما** » : اسم استفهام مبتدأ و « **ذا** » خبره . أي : ما الذي أكتب ؟ والعائد على الموصول محذوف تقديره : ما الذي أكتبه ؟ وفي هذا دليل على أن الأمر المجمل لا حرج على المأمور في طلب استبانته .

**وعلى هذا فإننا نقول :** إذا كان الأمر مجملاً فإن طلب استبانته لا يكون معصية . فالقلم لا شك أنه ممتثل لأمر الله - سبحانه وتعالى - ومع ذلك قال « **رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة** » . فكتب المقادير .

فإن قيل : هل القلم يعلم الغيب ؟ فالجواب : لا ، لكن الله أمره ولابد أن يمتثل لأمر الله ، فكتب هذا القلم الذي يعتبر جماداً بالنسبة لمفهومنا ، كتب كل شيء أمره الله أن يكتبه لأن الله إذا أراد شيئاً قال له : كن فيكون على حسب مراد الله ، و« **كل** » : من صيغ العموم . فتعم كل شئ مما يتعلق بفعل الله أو بفعل المخلوقين .

**وقوله :** « **حتى تقوم الساعة** » . الساعة هي القيامة ، وأطلق عليها لفظ الساعة . لأن كل شيء عظيم من الدواهي له ساعة . يعني : الساعة المعهودة التي تذهل الناس وتحيق بهم وتغشاهم حين تقوم وذلك عند النفخ في الصور .

**قوله :** « **يا بني ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا** » ، أي : الإيمان بأن الله كتب مقادير كل شيء .

**قوله :** « **فليس مني** » . تبرأ منه الرسول ﷺ لأنه كافر والرسول ﷺ بريء من كل كافر .

**ويستفاد من هذا الحديث :**

[ ١ ] ملاطفة الأبناء بالموعظة وتؤخذ من قوله : « يا بني ! » .

[ ٢ ] أنه ينبغي أن يلقن الأبناء الأحكام بأدلتها ، وذلك أنه لم يقل إن الله كتب . . . وسكت ولكنه أسند إلى الرسول ﷺ . فمثلاً : إذا أردت أن تقول لابنك : سم الله على الأكل واحمد الله إذا فرغت ، فإنك إذا قلت ذلك يحصل به المقصود ، لكن إذا قلت : سم الله على الأكل واحمد الله إذا فرغت لأن النَّبي ﷺ أمر بالتسمية عند الأكل وقال : « **إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة ويحمده عليها ، ويشرب الشربة ويحمده عليها** »مسلم (٢٧٣٤) .

**إذا فعلت ذلك استفدت فائدتين :**

**الأولى :** أن تعود ابنك على اتباع الأدلة .

**الثانية :** أن تربيه على محبة الرسول ﷺ .

وأن الرسول ﷺ هو الإمام المتبع الذي يجب الأخذ بتوجيهاته ، وهذه في الحقيقة كثيراً ما يغفل عنها فأكثر الناس يوجه ابنه إلى الأحكام فقط ، لكنه لا يربط هذه التوجيهات بالمصدر الذي هو الكتاب والسُّنَّة .

**قوله :** « وفي رواية لأحمد : إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له اكتب . . » هذه الرواية تفيد أمراً زائداً على ما سبق .

**وقوله :** « فجرى في تلك الساعة » . فإنه صريح في أن القلم امتثل والحديث الأول ليس فيه أنه كتب إلا عن طريق اللزوم بإنه سيكتب امتثالاً لأمر الله تعالى . فيستفاد منه ماسبق من كتابة الله سبحانه وتعالي - كل شيء إلى قيام الساعة ، وهذا مذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ « الحج : ٧٠ » .

وقال تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا** ﴾ أي : من قبل أن نبرأ الخليقة . ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ . « الحديد : ٢٢ » .

قوله : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ هو يوم البعث .

**وسمي يوم القيامة لقيام أمور ثلاثة فيه :**

**الأول : قيام الناس من قبورهم لرب العالمين .** كما قال تعالى : ﴿ **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ « المطففين : ٥ـ ٦ » .

**الثاني : قيام الأشهاد الذين يشهدون للرسل وعلى الأمم .** لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ « غافر : ٥١ » .

**الثالث : قيام العدل.** لقوله تعالى :﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ . « الأنبياء : ٤٧ » .

# بدء الوحي

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال : رعدة شديدة - خوفاً من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل . فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل . فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل** » هذا الحديث بهذا السياق ضعفه الألباني في ظلال الجنة (٥١٥) لكن صح عند البخاري والترمذي وابن ماجه .

## الشرح :

في هذا الحديث أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعه حملة العرش ، فسبحوا ثم سمعه أهل كل سماء ، فيسبحون كما سبح أهل السماء السابعة حتى يصل إلى السماء الدنيا فتخطفه الجن أو الشياطين وهذا وإن لم يكن فيه ذكر رجفة السماء أو السجود لكن يدل على أن له أصلاً .

قوله : « **إذا أراد أن يوحي بالأمر** » أي : بالشأن .

قوله : « **تكلم بالوحي** » جملة شرطية تقتضي تأخر المشروط عن الشرط ، فالإرادة سابقة والكلام لاحق فيكون فيه رد على الأشاعرة الذين يقولون : إن الله لا يتكلم بإرادة وإن كلامه أزلي كالسمع والبصر ففيه إثبات الكلام الحادث ولا ينقص كمال الله إذا قلنا : إنه يتكلم بما شاء ، كيف شاء ، متى شاء ، بل هذا صفة كمال لكن النقص أن يقال : إنه لا يتكلم بحرف وصوت إنما الكلام معنى قائم بنفسه .

قوله : « **أخذت السموات منه رجفة** » ، السموات : مفعول به جمع مؤنث

سالم أو ملحق به ، فيكون منصوباً بالكسرة ، ورجفة : فاعل ،

**قوله :** « **أو قال : رعدة شديدة** » ، شك من الراوي وإنما تأخذ السموات الرجفة أو الرعدة لأنه سبحانه عظيم يخافه كل شيء حتى السموات التي ليس فيها روح .

**قوله :** « **فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً** » ، فإن قيل : كيف يمكن أن يصعقوا ويخروا سجداً ؟ .

**فالجواب :**

أن الصعق هنا – والله أعلم – يكون قبل السجود فإذا أفاقوا سجدوا .

**قوله :** « **فيكون أول من يرفع رأسه جبريل** » ، أول : بالنصب على أنها خبر مقدم وجبريل بالرفع على أنها اسم يكون مؤخراً .

**قوله :** « **بما أراد** » ، أي : بما شاء ، لأن الله تعالى يتكلم بمشيئة .

**قوله :** « **ثم يمر جبريل على الملائكة** » ، لأنه يريد النزول من عند الله إلى حيث أمره الله أن ينتهي إليه بالوحي .

**قوله :** « **قال الحق وهو العلي الكبير** » ، سبق في تفسير ذلك أنه يحتمل قال الحق في هذه القضية المعينة ، أو قال الحق لأنه من عادته سبحانه وتعالى ألا يقول إلا الحق ، وأيا كان فإن جبريل لا يخبر الملائكة بما أوحى الله إليه ، بل يقول : قال الحق مبهماً . ولهذا سمى عليه السلام بالأمين .

**والأمين** : هو الذي لا يبوح بالسر .

**قوله :** « **وهو العلي الكبير** » ، تقدم الكلام عليه .

**قوله :** « **فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل** » أي : قال الحق وهو العلي الكبير .

**قوله :** « **فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله – عز وجل** » ، أي : يصل بالوحي إلى حيث أمره الله من الأنبياء والرسل .

**من فوائد الحديث :**

**[ ١ ]** إثبات الإرادة لقوله : « إذا أراد الله » :

**وهي قسمان : ( شرعية وكونية ) والفرق بينهما :**

**أولاً :** من حيث المتعلق فالإرادة الشرعية تتعلق بما يحبه الله - عز وجل - سواء وقع أو لم يقع . وأما الكونية : فتتعلق بما يقع سواء كان مما يحبه الله أو مما لا يحبه .

**ثانياً :** الفرق بينهما من حيث الحكم ، أي حصول المراد ، فالشرعية : لا يلزم منها وقوع المراد . أما الكونية : فيلزم منها وقوع المراد .

فقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ « النساء : ٢٧ » هذه إرادة شرعية، لأنها لو كانت كونية لتاب على كل الناس وأيضاً متعلقها فيما يحبه الله وهو التوبة .

■ **قوله :** ﴿ **إن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ** ﴾ « هود: ٢٦ » هذه كونية لأن الله لا يريد الإغواء شرعاً ، أما كوناً وقدراً . فقد يريده .

■ **قوله :** ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ « النساء : ٢٦ » هذه كونية لكنها في الأصل شرعية . لأنه قال : ﴿ **وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ .

■ **قوله :** ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ « البقرة : ١٨٥ » . هذه شرعية لأن قوله : ﴿ **وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ لا يمكن أن تكون كونية ، إذ أن العسر يقع . ولو كان الله لا يريده قدراً وكوناً لم يقع .

**[٢ ]** أن المخلوقات وإن كانت جمادات تحس بعظمة الخالق .

قال تعالى : ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾ « الإسراء : ٤٤ » .

**[٣ ]** إثبات أن الملائكة يتكلمون ويفهمون ويعقلون لأنهم يسألون : « **ماذا قال ربنا ؟** » ويجابون : قال « **الحق** » ، خلافاً لمن قال : إنهم لا يوصفون بذلك ، فيلزم من قولهم هذا أننا تلقينا الشريعة ممن لا عقول لهم . وهذا قدح في الشريعة بلاريب .

[٤] إثبات تعدد السموات ، لقوله « **كلما مر بسماء** » .

[٥] أن لكل سماء ملائكة مخصصين ، لقوله « **سأله ملائكتها** » .

[٦] فضيلة جبريل عليه السلام حيث إنه المعروف بأمانة الوحي ولهذا قال ورقة بن نوفل : « **هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى** »(١) ، والناموس بالعبرية بمعنى صاحب السر .

[٧] أمانة جبريل عليه السلام حيث ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل فيكون فيه رد على الرافضة الكفرة الذين يقولون : بأن جبريل أمر أن يوحي إلى عليٍّ فأوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : فإن الأمين فصدها عن حيدرة ، وحيدرة لقب لعلي ابن أبي طالب ، لأنه كان يقول في غزوة خيبر: أنا الذي سمتني أمي حيدرة ،« رواه مسلم (١٨٠٧) » . وفي هذا تناقض منهم لأن وصفه بالأمانة يقتضي عدم الخيانة .

[٨] إثبات العزة والجلال لله ، لقوله « **عز وجل** » والعزة بمعنى الغلبة والقوة .

**وللعزيز ثلاثة معان :**

**أولاً :** بمعنى ممتنع أن يناله أحد بسوء .

**ثانياً :** بمعنى ذي قدر لا يشاركه فيه أحد .

**ثالثاً :** بمعنى غالب قاهر .

**قال ابن القيم :**

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان

وأما الجلال : فالجلال بمعنى العظمة التي ليس فوقها عظمة (٢) .

---

(١) البخاري (٤٩٥٦) مسلم (١٦٠) .

(٢) القول المفيد (١ / ١٩٥ - ١٩٨).

# حديث النزول

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له** » رواه البخاري .

## الشرح :

هذا الحديث قال بعض أهل العلم إنه من الأحاديث المتواترة [١]، واتفقوا على أنه من الأحاديث المشهورة المستفيضة عند أهل العلم بالسُّنَّة .

قوله : « **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا** » نزوله تعالى حقيقة ، لأنه كما مر علينا من قبل ، أن كل شيء كان الضمير يعود فيه إلى الله ، فهو ينسب إليه حقيقة .

**فعلينا أن نؤمن به ونصدق ونقول :** ينزل الله إلى السماء الدنيا ، وهى أقرب السموات إلى الأرض، والسموات السبع، وإنما ينزل عز وجل في هذا الوقت من الليل للقرب من عباده جل وعلا، كما يقرب منهم عشية عرفة ،حيث يباهي بالواقفين الملائكة . رواه مسلم (١٣٤٨) والنسائي في الكبري (٣٩٩٦) وابن ماجه (٣٠١٤).

- **وقوله : « كل ليلة »** : يشمل جميع ليالي العام .

- **وقوله : « حين يبقى ثلث الليل الأخير»** ، والليل يبتدئ من غروب الشمس اتفاقاً لكن حصل خلاف في انتهائه هل يكون بطلوع الفجر أو بطلوع الشمس والظاهر أن الليل الشرعي ينتهي بطلوع الفجر والليل الفلكي ينتهي بطلوع الشمس .

- **وقوله : « فيقول : من يدعوني » ، « من »** استفهام للتشويق .

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ « الصف: ١٠ ».

---

(١) المتواتر من الأحاديث : هو ما رواه جماعة من العدول الضابطين من أول سلسلة رواته حتى آخرها شرط ألا يقل عدد الرواة في كل طبقة عن عشرة ، بما يستحيل اتفاقهم على الكذب ، وهو أعلى درجة من الصحة في الحديث .

- **وقوله :** « **يدعوني** » يعني يقول يا رب .
- **وقوله :** « **فأستجيب له** » بالنصب ، لأنها جواب الطلب .
- **وقوله :** « **من يسألني** » يقول أسألك الجنة ، أو نحو ذلك .
- **وقوله :** « **من يستغفرني** » فيقول : اللهم اغفر لي ، أو أستغفرك اللهم .
- **وقوله :** « **فأغفر له** » والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه .

بهذا يبين لكل إنسان قرأ هذا الحديث أن المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه ، ولا نحتاج أن نقول بذاته ، مادام الفعل أضيف إليه فهو له ، لكن بعض العلماء قالوا ينزل بذاته ، لأنهم لجئوا إلى ذلك ، واضطروا إليه ، لأن هناك من حرفوا الحديث وقالوا : الذي ينزل أمر الله ، وقال آخرون : بل ينزل رحمة الله ، وقال آخرون : بل الذي ينزل ملك من ملائكة الله .

وهذا باطل ، فإن ينزل أمر الله ينزل دائماً وأبداً ، ولا يختص نزوله في الثلث الأخير من الليل ، قال الله تعالى : ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ** ﴾ « السجدة : ٥ » ، وقال : ﴿ **وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ** ﴾ « هود : ١٢٣ » .

وأما قولهم تنزل رحمة الله إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فسبحان الله ، الرحمة لا تنزل إلا في هذا الوقت ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ « النحل : ٥٣ » ، كل النعم من الله ، وهي من آثار رحمته ، وهي تترى [١] كل وقت .

**ثم نقول :** أي فائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء الدنيا .

**ثم نقول لمن قال :** إنه ملك من ملائكته ، هل من المعقول أن الملك من ملائكة الله يقول : « **من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له** » . فتبين بهذا أن الأقوال تحريف باطل يبطله الحديث .

(١) تترى : المراد تتابع .

ووالله ، ليسوا أعلم بالله من رسول الله ﷺ ، وليسوا أنصح لعباد الله من رسول الله ﷺ ، وليسوا أفصح في قولهم من رسول الله ﷺ .

**يقولون :** كيف تقولون إن الله ينزل . إذا نزل ، أين العلو ، وإذا نزل ، أين الاستواء على العرش ، إذا نزل ، فالنزول حركة وانتقال ، إذا نزل، فالنزول حادث ، والحوادث لا تقوم إلا بحادث .

فنقول هذا جدال بالباطل ، وليس بمانع من القول بحقيقة النزول .

هل أنتم أعلم بما يستحقه الله عز وجل من أصحاب الرسول ﷺ .

فأصحاب الرسول ﷺ ما قالوا هذه الاحتمالات أبداً ، قالوا سمعنا وآمنا وقبلنا وصدقنا ، وأنتم أيها الخالفون المخالفون تأتون الأن وتجادلون بالباطل ، وتقولون : كيف ؟ كيف ؟ .

**نحن نقول :** ينزل ، ولا نتكلم عن استوائه على العرش هل يخلو منه العرش أو لا يخلو ؟

**أما العلو فنقول :** ينزل ،لكنه عال عز وجل على خلقه ،لأنه ليس معنى النزول أن السماء تقله ،وأن السموات الأخرى تظله ،إذ أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته.

**فنقول :** هو ينزل حقيقة مع علوه حقيقة ، وليس كمثله شيء .

أما الاستواء على العرش فهو فعل ، ليس من صفات الذات [1] ، وليس لنا حق – فيما أرى – أن نتكلم هل يخلو منه العرش أو لا يخلو ، بل نسكت كما سكت عن ذلك الصحابة رضي الله عنهم .

**وإن كان علماء أهل السنة لهم في هذا ثلاثة أقوال :** قول بأنه يخلو ، وقول بأنه لا يخلو ، وقول بالتوقف .

---

(١) علو الله على خلقه علوٌّ حقيقي ... فهو علو ذات وعلو صفات وأفعال وأسماء وعلو قدر وشأن ، ممدوح المنشاوي .

وشيخ الإسلام [١] - رحمه الله - في « **الرسالة العرشية** » يقول : إنه لا يخلو منه العرش ، لأن أدلة استوائه على العرش محكمة ، والحديث هذا محكم ، والله عز وجل لا تقاس صفاته بصفات الخلق ، فيجب علينا أن نبقي نصوص الاستواء على إحكامها ، ونص النزول على إحكامه ، ونقول : هو مستو على عرشه ، نازل إلى السماء الدنيا ، والله أعلم بكيفية ذلك ، وعقولنا أقصر وأدنى وأحقر من أن تحيط بالله عز وجل .

**القول الثاني :** التوقف ، لا نقول : يخلو ، ولا : لا يخلو .

**القول الثالث :** أنه يخلو منه العرش .

وأورد المتأخرون الذين عرفوا أن الأرض كروية وأن الشمس تدور على الأرض إشكالاً ، قالوا : كيف ينزل في ثلث الليل ؟ ، وثلث الليل إذا انتقل عن المملكة العربية السعودية ، ذهب إلى أوروبا وما قاربها ! أفيكون نازلاً دائماً ؟ .

**فنقول :** آمن أولا بأن الله ينزل في هذا الوقت المعين ، وإذا آمنت ، ليس عليك شيء وراء ذلك ، لا تقل : كيف ؟ وكيف ؟

**بل قل :** إذا كان ثلث الليل ، في السعودية فالله نازل وإذا كان في أمريكا ثلث الليل يكون نزوله أيضاً ، وإذا طلع الفجر ، انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه .

إذاً موقفنا أن نقول : إنا نؤمن بما وصل إلينا عن طريق محمد رسول الله ﷺ ، بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الآخر من الليل ، ويقول : **« من يدعوني فأستجيب له ؟ ، من يسألني فأعطيه ؟، من يستغفرني فأغفر له »**.

**من فوائد هذا الحديث :**

**أولاً :** إثبات العلو لله من قوله « **ينزل** » .

**ثانياً :** إثبات الأفعال الاختيارية التي هي الصفات الفعلية من قوله « **ينزل حين**

---

(١) شيخ الإسلام المراد ابن تيمية - رحمه الله - .

**يبقى الليل الآخر »** .

**ثالثاً** : إثبات القول لله من قوله : « **يقول** » .

**رابعاً** : إثبات الكرم لله عـز وجل من قوله : « **من يدعوني ..... مـن يسألني ..... من يستغفرني .....** » .

**وفيه من الناحية المسلكية :** [١]

إنه ينبغي للإنسان أن يـغتنم هذا الجزء من الليل ، فيسـأل الله عز وجل ويدعوه ويستغفره ما دام الرب سبحانه وتعالى يقول « **من يدعوني ... من يستغفرني ....**» . و« **من**» : للتشويق ، فينبغي لنا أن نستغل هذه الفرصة ، لأنه ليس لك من العمر إلا ما أمضـيته في طاعة الله ، وستمـر بك الأيام ، فإذا نزل بك الموت ، فكأنك ولدت تلك الساعة ، وكل ما مضى ليس بشيء [٢] .



(١) المسلكية من سلك الطريق والمراد من الناحية التربوية والسلوكية على طريق الله – عز وجل – .
(٢) شرح العقيدة الواسطية .

# رسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ ..... حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : ففي هذا اليوم وصل إليَّ كتابكم ، وقد فهمت ما فيه وقد تضمن ملاحظة فضيلتكم على كلامي فيما يتعلق بالحديث القدسي الذي رواه النَّبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « **من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة** »[1] وكان في إثبات الهرولة لله تعالى إشكال عندكم .

**فيا محب :** تعلم أن هذا الحديث أخبر الله تعالى به عن نفسه ، ونقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى عباده ﷺ ، ومبلغ رسالته على الوجه الأتم ، ونقله عن هذا الرسول أمناء أمته من الصحابة والتابعين وأئمة الأمة عن أهل الحديث والفقه ، وتلقته الأمة بالقبول .

**وتعلم يامحب :** أن الله تبارك وتعالى أعلم بنفسه وبغيره : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ « البقرة : ٢١٦ » ، ﴿ **قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ** ﴾ « البقرة : ١٤٠ » .

**وتعلم يا محب :** أن الله تعالى لم يطلع خلقه على ما علمه إياهم من أسمائه وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه ، إلا ليبين لهم الحق حتى لا يضلوا : ﴿ **يبِين اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ « النساء : ١٧٦ » .

**وتعلم يا محب :** أنه لا أحد أحسن من الله حديثاً ، ولا أصدق منه قيلاً ، وأن كلامه جل وعلا - في أعلى غاية الفصاحة والبيان .

---

(١) البخاري (٧٤٠٥) مسلم (٢٦٧٥) .

وقد قال سبحانه وتعالى عن نفسه : « **من أتاني يمشي أتيته هرولة** » .

فلا تستوحشّن يا أخي من شيء أثبته الله تعالى لنفسه بعد أن علمت ما سبق ، واعلم أنك إذا نفيت أن الله تعالى يأتي هرولة فسيكون مضمون هذا النفي صحة أن يقال : إن الله لا يأتي هرولة . وفي هذا ما فيه .

ومن المعلوم أن السلف يؤمنون بأن الله تعالى يأتي إتياناً حقيقياً للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به ، كما دل على ذلك كتاب الله تعالى،وليس في هذا الحديث القدسي إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي ممن أثبت إتيان الله تعالى حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به .

وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة ، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه وهو - سبحانه وتعالى - يفعل ما يشاء ، وليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكيف ولا تمثيل شيء من النقص ، حتى يقال : إنه ليس ظاهر الكلام بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء ، ولهذا لم يأت الله في كلامه عنه ، ولا في كلام رسول الله ﷺ ما يصرفه عن ذلك كما أتى في الحديث القدسي : « **إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني** »[1] الحديث .

**وأما قول فضيلتكم** : « **لم أجد عن الصحابة والتابعين ذكر إثبات هذه الصفة**»: أي : الهرولة فإن فضيلتكم لا يخفى عليه أن هذه الصفة جاء إثباتها لله تعالى ، فيما أخبر الله به نفسه عن نفسه ، « **أتيته هرولة** » ، وفيما نقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى من أرسله إليهم من خلقه ، وفيما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ وفيما رواه التابعون عن الصحابة ، وفيما رواه أئمة الأمة بعدهم إلى عصرنا هذا ، كلهم يقولون عن الله « **أتيته هرولة** » .

(١) مسلم (٥٢٦٩) .

فقد ذكرت في كلام الله في الحديث القدسي ، وفي كلام رسوله ، وفي كلام الصحابة، وفي كلام التابعين ،وفي كلام الأئمة بعدهم رواية نقلاً وقبولاً ولله الحمد.

ولا يخفى على فضيلتكم القاعدة العامة عند السلف من أن نصوص الصفات تجري على ظاهرها اللائق بالله تعالى بلا كيف ، كما اشتهر عنهم قولهم : « **أمروها كما جاءت بلا كيف** » وهذه القاعدة تجري على كل فرد من أفراد النصوص ، وإن لم ينصوا عليه بعينه ، ولا يمكننا أن نخرج عنها نصاً واحداً إلا بدليل عن السلف أنفسهم ولو قلنا : إنه لابد أن ينصوا على كل نص بعينه لم يكن لهذه القاعدة فائدة.

ومن ذلك الحديث الذي نحن بصدد الكلام عنه ، فإن ظاهره ثبوت إتيان الله تعالى هرولة ، وهذا الظاهر ليس ممتنعاً على الله - عز وجل - ، لأنه لا يتضمن نقصاً فيكون داخلاً في القاعدة المذكورة ، فيثبت لله تعالى حقيقة ، ويصان عن الأوهام الباطلة من التمثيل والتكييف .

ولا يخفى على فضيلتكم أن هذا الحديث ليس فيه شيء من المشاكلة ، فإن الإشكال عندكم فيما ظهر لي ليس في مجرد الإتيان ، ولكن في إثبات الهرولة .

**والهرولة :** إنما ذكرت في الحديث في إتيان الله تعالى فقط. أما في إتيان المخلوق فقال : « من أتاني يمشي » والفرق بين مطلق المشي والهرولة ظاهر ، وحينئذ فلا مشاكلة ، ثم إن المشاكلة عند من قال بها تكون في أحد الطرفين حقيقية ، وفي الثاني غير حقيقية ،لكن ذكرت بلفظه للتشاكل .

ثم إن فتح المشاكلة ينفتح به إشكالات ، ألا ترى أن الذاهبين لذلك أنكروا من أجله صفات يثبتها السلف وهم أهل السُّنَّة .

**فقالوا :** إن الاستهزاء الذي أخبر الله عنه نفسه في قوله ﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ « البقرة :١٥ » من المشاكلة . وقالوا : إن الخداع الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿ **وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ « النساء : ١٤٢ » من المشاكلة .

**وقالوا :** إن المكر الذي أخبر الله به عن نفسه تعالى في قوله : ﴿ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ « الأنفال : ٢٠ » من المشاكلة .

**وقالوا :** إن الكيد الذي أخبر الله به عن نفسه تعالى في قوله ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ « الطارق : ١٦ » من المشاكلة .

إن الرضا الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله تعالى :﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ « المائدة : ١٢٠ » من المشاكلة . إلى غير ذلك هذا مما ذكروه ونفوا من أجله حقيقة ما وصف الله به نفسه من ذلك .

ولعل فضيلتكم ترجعون إلى ماكتبته عن القول الثاني في تفسير الحديث ، والذي ذهب إليه بعض الناس ، « **إن العلة فيه عندي غير المشاكلة ، لأني أرى أن التعليل بالمشاكلة تعليل ينفتح بـه ما لا يمكن دفعه ، كما أنه - عند التأمل - لا مشاكلة لما بيناه آنفاً** » .

وأما ما تفضل به فضيلتكم من ملاحظة على قولي : « **إن الحديث خرج مخرج المثال فيكون المعنى من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي** » **من وجهين :**

**أحدهما :** أن لفظ « **من** » من صيغ العموم .

**الثانـي :** أنه تفسير وتأويل لا ينضبط .

فلا يخفى على فضيلتكم أن لفظ « **من** » وغيرها من الأسماء الموصولة أو الشرطية ، عام في أفراد لا تدل عليه الصلة أو فعل الشرط فقط ، فإذا قلت من أخبرني بقدوم فلان فله كذا ، وكان عاماً في جميع أفراد من يخبرك بقدومه ، لكنه لا يتناول من أخبرك بقدوم غيره أو من أخبرك عنه بشيء غير القدوم فقوله تعالى في الحديث القدسي : « **من أتاني يمشي** » عام في جميع أفراد من أتاه يمشي ، لكنه لا يتناول سواهم ممن تقرب إليه بغير الإتيان مشيا .

فإذا قلنا معنى الحديث « **من أتاني يمشي في عبادة تستلزم المشي** » .

لم نكن أخرجنا لفظ « من » عن العموم حيث جعلناها شاملة لكل فرد من أتى الله يمشي ، وإتيان الله تعالى مشيا إنما يكون في عبادة تفتقر إلى المشي ، ليتحقق أنه أتى الله تعالى مشياً .

وبعد هذا يتبين أن ما قلته في التفسير منضبط غير مشكل ، وأنه أبعد عن أن يلزمنا الخصوم من أهل التأويل بموافقتهم أو مداهنتهم فيما أولوه من صفات الله عز وجل ، حيث أبقى على حقيقته اللائقة بالله تعالى ، من غير تكييف ولا تمثيل .

وأن الإنسان يجد في نفسه الخوف من أن يلقى الله - عز وجل - وهو يقول « **إن الله تعالى لا يأتي هرولة** » .

بعد أن أثبت الله ذلك لنفسه و سبحان من قال عن نفسه ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ « إبراهيم : ٢٧ » .

ولقد تأملت هذه المسألة ، وكلما هممت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث، وجدتني خائفاً أن أقول في كلام الله - عز وجل - ما لا أعلم ، وأن بقائي على ما يدل عليه ظاهر الحديث مع تنزيه - الله عز وجل - عما لا يليق به من مماثلة الخلق ، ومع الكف عن تكييف صفاته أسلم في عقيدتي ، وأبعدني عن التكلف ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

وإني لأشكر فضيلتكم على ما أتحفتموني به من كلام شيخ الإسلام في نقضه كلام الرازي ، فنعم التحفة ، ونعم ما أتحف بها أصلاً ونقلاً .

ولا يخفى على فضيلتكم ما لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - من التحقيق في المنقول والمعقول ، مما جعل كلامه - يرحمه الله تعالى - له الأثر في النفوس والقبول تغمده الله برحمته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

لكن لا يخفى على فضيلتكم أن جل كلامه الذي نقلتم إنما هو في مسألة التقرب ، لأنه هو الذي ذكر بلفظ المساحة ، ومع ذلك فقد أورده الشيخ - يرحمه الله تعالى - بذلك الترديد حيث قال : « إما أن يكون ظاهر اللفظ في

تقرب العبد إلى ربه هو تقرب بالمساحة المذكورة أو لا يكون ، فإن كان ذلك هو ظاهر اللفظ ، فإما أن يكون ممكناً أو لا يكون ، فإن كان ممكناً فالآخر أيضاً ممكن ، ولا يكون في ذلك مخالفة للظاهر ، وإن لم يكن ممكناً فمن أظهر الأشياء للإنسان علمه بنفسه ، وسعيه ، فيكون قد ظهر للمخاطب معنى قربه بنفسه ، وقد علم أن قرب ربه إليه من جنس ذلك ، فيكون الآخر أيضاً ظاهراً في الخطاب فلا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع بل ظاهره هو المعنى الحق ، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله تعالى ، بحركة بدنه شبراً وذراعاً ومشياً وهرولة .

لكن قد يقال عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية ، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه ، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكاً .

فيقال هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية ، فيكون بمعنى الخطاب ما ظهر بها لا ما ظهر بدونها » أ هـ . المقصود منه .

فأنت ترى – حفظك الله – أن الشيخ – يرحمه الله تعالى – جعل الأمر متردداً بين أن يكون التقريب بالمساحة ظاهر اللفظ أو لا يكون .

وإنه إذا كان ظاهر اللفظ فإما أن يكون ممكناً أولا يكون ، وإن يخاف ممكناً فالآخر أيضاً ممكناً ، وإن لم يكن ممكناً فالأخر من جنس ذلك ، ولا يمكن أن يكون غير الممكن ظاهر الخطاب لامتناعه ، يعني أننا إذا قلنا : إن تقرب العبد إلى ربه بالمساحة « الشبر والذراع » غير ممكن ، صار تقرب الله تعالى بالذراع والباع غير ممكن، وإذا كان غير ممكن امتنع أن يكون هو ظاهر الخطاب لأنه لا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله تعالى أمراً مستحيلاً .

**وأما قوله**- يرحمه الله تعالى - : « ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله تعالى بحركة بدنه شبراً وذراعاً ومشياً وهرولة » .

فإنه قد يقال الذي يمنع ذلك فإن العبد يتقرب إلى ربه بحركة قلبه وحركة بدنه ، ولهذا يقال : « القلوب جوالة ، فقلب يحوم حول العرش ، وقلب يتحول حول

الحُشّ ؟ »[١] .

وحركة القلب وشعور العبد بقربه من ربه يغلبه أمر معلوم ، وكذلك حركة البدن التي يتقرب العبد بها إلى ربه تكون الحركة نفسها عبادة ، أو يتوصل بها إلى عبادة في أمر معلومة ، ألا ترى إلى قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴿٥٢﴾ ﴾ [ طه : ٥٢ ] .

**قال ابن كثير - يرحمه الله - :** « كلمه الله تعالى وناداه ، وقربه فناجاه » .

ولا يخفى على فضيلتكم ما رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النَّبي صلى الله عليه وسلم ، قال « **إن الله ليباهي بأهل عرفات أهل السماء ، فيقول لهم : انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً** » .

وما رواه أحمد ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها أن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال : « **ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول ما أراد هؤلاء** » .

ودنوه - جل وعلا - كما يعلم فضيلتكم لا ينافي علوه تبارك تعالى .

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في الفتاوى ( جمع ابن قاسم ٤٦٠ / ٥٠ ) :**

« وأصل هذا أن قربه - سبحانه - ودنوه - من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش ، بل هو فوق العرش ، ويقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال ذلك من قاله من السلف ، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمة عند الشجرة » .

**إلى أن قال ( ٤٦٤ ) :** « وإذا كان المنادي هو الله رب العالمين وقد ناداه من موضع معين وقربه إليه دل ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى عليه السلام مع أن هذا قرب ما دون السماء » .

**إلى أن قال ( ٤٦٥ ) :** « وقربه من العباد بتقربهم يقر به جميع من يقول إنه فوق العرش ، سواء قالوا مع ذلك إنه تقوم به الأفعال الاختيارية أم لم يقولوا ، وأما من

(١) س ما المراد بالحُشّ ؟ ، هل هي من الحشيش من نبات الأرض ؟ ، فيكون المراد التافه من الأمور والساقط من الرغبات.

ينكر ذلك فمنهم من يفسر قرب العباد بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه ، فيكونون قريبين منه ، وهذا تفسير أبي حامد [١] ، والمتفلسفة ، ومنهم من يفسر قربهم بطاعته ، ويفسر قربه بإثباته ، وهذا تفسير جمهور الجهمية [٢] ، فإنهم ليس عندهم قرب ولا مما يدخل في معاني القرب - وليس في الطوائف من ينكره - قرب المعروف والمعبود إلى قلوب العارفين العابدين ، فإن كل من أحب شيئاً فإنه لابد أن يعرفه ، ويقرب من قلبه ، والذي يبغضه يبعد من قلبه » .

**إلى أن قال ( ٤٦٦ ) :** « والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة ، وهو قول الأشعري وغيره من الكلابية ، فإنهم يثبتون قرب العباد إلى ذاته » .

**إلى أن قال :** « وأما دنوه بنفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ، ونزوله واستوائه على العرش ، وهذا مذهب أئمة السلف ، وأئمة الإسلام المشهورين ، وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر ، وأول من أنكر هذا في الإسلام الجهمية ، ومن وافقهم من المعتزلة » .

**وفي ( ص ٣١ / ٦ ) :** « لكن عموم المسلمين وسلف الأمة وأهل السُّنَّة من جميع الطوائف تقر بذلك ، فيكون العبد متقرباً بحركة روحه وبدنه إلى ربه مع إثباتهم أيضاً بتقربهما إلى الأماكن المشرفة وإثباتهم أيضاً تحول روحه وبدنه من حال إلى حال .

---

(١) أبو حامد الغزالى صاحب كتاب الإحياء .

(٢) الجهمية : فرقة من الفلاسفة ينتسبون إلي الجهم بن صفوان الخراساني ، ظهروا في عهد الدولة الأموية في خراسان وما حولها ، ولهم معتقدات فاسدة ؛ يخالفون فيها أهل السُّنَّة والجماعة ، ومن أهم هذه الآراء الباطلة :

[ أ ] الجبرة : فقالوا : إن العبد مجبورٌ في أفعاله كلها ، صالحها وسيئها ، لا إرادة له ولا اختيار مُطلقًا ، فهو مجبورٌ في أفعاله كالجمادات ، ولا تنسب له إرادة ـ زعمهم الفاسد ـ إلا كما تنسب للجمادات كقولهم تحرَّك الحجر .

[ب] يزعمون أن الإيمان معرفة والكفر جهل ، فمن عرف صفات النَّبي ﷺ فقط ، فهو مؤمن به ، وعلى هذا الزعم فالمشركون واليهود وغيرهم مؤمنون لعلمهم بصفات النَّبي ﷺ .

[جـ] فناء الجنَّة والنَّار ، وأنهما ليستا خالدين ، خلافًا لما ورد فى القرآن الكريم وسُنَّة النَّبي ﷺ ، وأيضًا : نفوا رؤية الله – تعالى – يوم القيامة .

**فالأول :** مثل معراج النَّبي ﷺ وعروج روح العبد إلى ربه ، وقربه منه في السجود وغير ذلك .

**الثاني :** مثل الحج إلى بيته وقصده في المساجد .

**الثالث :** مثل ذكره له ودعائه ومحبته وعبادته ، وهو في بيته لكن في هذين يقرون أيضاً بقرب الروح أيضاً إلى الله نفسه فيجمعون بين الأنواع كلها » .

**قال في ( ص ١٣ / ٦ ) :** « وإذا كان قرب عباده منه نفسه وقربه منهم ليس ممتنعاً عند الجماهير من السلف وأتباعهم من أهل الحديث والفقهاء والصوفية وأهل الكلام لم يجب أن يتناول كل نص فيه ذكر قربه من جهة امتناع القرب عليه ولا يستلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه ، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة ، وينظر في النص الوارد فإن دل على هذا حُمل عليه، وهذا كما تقدم في لفظ الإتيان والمجيء » أ . هـ .

ففي هذا الكلام من تقرير تقرب العبد إلى ربه بحركة روحه وبدنه ، وأن قرب العباد منه نفسه وقربه منهم ليس ممتنعاً عند الجماهير من السلف أتباعهم ، ما يخالف ما ذكره في نقضه على الرازي ، وعليه فيكون للشيخ - يرحمه الله تعالى - في هذا قولان ، ولكن أيهما أقرب أن يكون أرجح عنده ؟ .

**قد يقال :** إن الثاني أقرب أن يكون أرجح لأن فيه زيادة ولأنه ساقه جازماً به ، بخلاف الأول فإنه كان فيه ترديد . والله أعلم .

**وخلاصة القول :**

أن إبقاء النص على ظاهره أولى وأسلم فيما أراه ، ولو ذهب ذاهب إلى تأويله لظهور القرينة عنده في ذلك لوسعه الأمر لاحتماله . والله تعالى رقيب على كل قول قائل وقلبه ، فنسأله تعالى الهداية والتوفيق ، لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

# فضل الأمة الإسلامية

عن ثوبان رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : « **إن الله زوى لي الأرض . فـرأيت مشـارقهـا ومغـاربها وإن أمـتي سيـبلغ ملكهـا ما زوي لي منهـا . وأعطيت الكنزين : الأحـمر والأبيـض .وإني سألت ربي لأمـتي أن لا يهلكهـا بسنة بعـامـة وأن لا يسلط عليهم عـدواً من سوى أنفسـهم فيستـبيح بيضـتهم وإن ربي قال : يا محـمد ! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً** » . رواه مسلم (٢٨٨٩) .

ورواه البرقاني في صحيحه وزاد : « **وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامـة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتي تعـبد فئام من أمتي الأوثان . وأنه سـيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خـاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفـة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالي**» هذه الزيادة أخرجها أبوداود (٤٢٥٢) وابن ماجه (٣٩٥٢) وصححها الألباني في الصحيح (١٩٥٧) .

## الشرح :

قوله : « **زوى لي** » : بمعنى جمع وضم .أي : جمع له الأرض وضمها .

قوله : « **فرأيت** » : أي بعيني ، فهي رؤية عينية ويحتمل أن تكون رؤية منامية .

قوله « **مشـارقها ومغـاربها** » : وهذا ليس على الله بعزيز ، لأنه على كل شيء قدير . فمن قـدرته أن يجمع الأرض حتى يشاهد النَّبي ﷺ ما سيـبلغ ملك أمته منها ، وهل المراد هنا بالزوي أن الأرض جمـعت ، أو أن الرسول ﷺ قوي نظره

حتى رأي البعيد ؟ ، فالأقرب إلى ظاهر اللفظ أن الأرض جمعت ، لا أن بصره قوي حتى رأي البعيد .

**وقال العلماء :** المراد قوة بصر النَّبي ﷺ أن الله أعطاه قوة بصر حتى أبصر مشارق الأرض ومغاربها ، لكن الأقرب الأول . ونحن إذا أردنا تقريب هذا الأمر نجد أن صورة الكرة الأرضية الآن مجموعة يشاهد الإنسان فيها مشارق الأرض ومغاربها . فالله على كل شيء قدير . فهو قادر على أن يجمع له ﷺ الأرض حتى تكون صغيرة فيدركها من مشارقها إلى مغاربها .

## اعتراض وجواب :

**فإن قيل :** هذا إن حمل على الواقع ، فليس بموافق للواقع ، لإنه لو حصرت الأرض بحيث يدركها بصر النَّبي ﷺ المجرد فأين يذهب الناس والبحار والجبال والصحاري ؟ .

**والجواب :** بأن هذا من الأمور الغيبية التي لا يجوز أن تورد عليها كيف ولم ، بل نقول : إن الله على كل شيء قدير . إذ قدرة الله - سبحانه - أعظم من قدرتنا وأعظم من أن نحيط بها ، ولهذا أخبر النَّبي ﷺ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .رواه البخاري (٢٠٣٥) ومسلم (٢١٧٥) .

**فلا يجوز أن نقول :** كيف يجري مجرى الدم ؟ فالله أعلم بذلك .

وهذه المسائل التي لا ندركها يجب التسليم المحض لها . ولهذا نقول في باب الأسماء والصفات تجري على ظاهرها مع التنزيه عن التكييف والتمثيل .

وهذا ما اتفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة .

**وقوله:** « **فرأيت مشارقها ومغاربها** » : أي أماكن الشرق والغرب منها .

**وقوله :** « **وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها** » : والمراد أمة الإجابة التي آمنت بالرسول ﷺ منها . وهذا هو الواقع ، فإن ملك هذه الأمة اتسع من المشرق

ومن المغرب اتساعاً بالغاً ، لكنه من الشمال والجنوب أقل بكثير .

والأمة الإسلامية وصلت من المشرق إلى السند والهند وما وراء ذلك ، ومن المغرب إلى ما وراء المحيط ، وهذا يحقق ما رآه النَّبي ﷺ .

**وقوله :** « **وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض** » : الذي أعطاه هو الله ، والكنزان هما الذهب والفضة كنوز كسرى وقيصر . فالذهب عند قيصر والفضة عند كسرى ، وكل منهما عنده ذهب وفضة لكن الأغلب على كنوز قيصر الذهب وعلى كنوز كسرى الفضة .

**وقوله :** « **أعطيت** » : هل هو ﷺ أعطيها في حياته أم بعد موته ؟

**والجواب :** بعد موته أعطيت أمته ذلك ، لكن ما أعطيت أمته فهي كالمعطى له ، لأنها امتداد ملك الأمة لا لأنها أمة عربية كما يقول الجهال بل لأنها أمة إسلامية أخذت بما كان عليه الرسول ﷺ .

قوله « **وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكها بسنة بعامة** » : هكذا في الأصل : « **بعامة** » والمعنى بمهلكة عامة .

وفي رواية في بعض النسخ : « **بسنة عامة** » ، **السنة** : الجدب والقحط ، وهو يهلك ويدمر .

قال ﷺ : « **اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف** »[1].

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ** ﴾ [ الأعراف : ١٣٠ ] .

ويحتمل أن يكون المعنى بعام واحد فتكون الباء للظرفية ، وعامة : أي عموماً تعمهم ، هذه دعوة .

**وقوله :** « **وأن يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم** » : أي لا يسلط عليهم عدواً ، والعدو : ضد الولي ، وهو المعادي المبغض الحاقد وأعداء

---

(١) البخاري (٤٨٢١) مسلم (٢٧٩٨) .

المسلمين هنا : هم الكفار ، ولهذا قال « من سوى أنفسهم » .

ومعني « **يستبيح** » : يستحل .

« **والبيضة** » : ما يجعل على الرأس وقاية من السهام ، والمراد يظهر عليهم ويغلبهم .

**وقوله :** « إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد » : اعلم أن قضاء الله نوعان :

**[ ١ ]** قضاء شرعي قد يرد فقد يريده الله ولايقبلونه .

**[ ٢ ]** قضاء كوني لا يرد ، ولابد أن ينفذ .

وكلا القضاءين قضاء بالحق ، وقد جمعهما قوله تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ** ﴾ « غافر : ٢٠ » .

ومثال القضاء الشرعي ، قوله تعالى : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ . « الإسراء : ٢٣ » .

لأنه لو كان كونياً لكان كل الناس لا يعبدون إلا الله ، ومثال القضاء الكوني قوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾ [ الإسراء : ٤ ] .

لأن الله تعالى لايقضي شرعاً بالفساد ، لكنه يقضي به كوناً وإن كان يكرهه سبحانه فإن الله لا يحب الفساد ولا المفسدين ، لكنه يقضي بذلك لحكمة بالغة كما قسم خلقه إلى مؤمن وكافر لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة .

**والمراد بالقضاء في هذا الحديث :** القضاء الكوني فلا أحد يستطيع رده مهما كان من الكفر والفسوق .

فقضاء الله نافذ على أكبر الناس عتواً واستكباراً ، فقد نفذ على فرعون وأغرق بالماء الذي كان يفتخر به ، وعلى طواغيت بني آدم فأهلكهم الله ودمرهم .

وقوله « **إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد** » : من كمال سلطان الله وقدرته وربوبيته

ماهو ظاهر ، لأنه ما من ملك سوى الله ! لا يمكن أن يرد ما قضى به .

واعلم أن قضاء الله كمشيئته بالحكمة فهو لا يقضي قضاء إلا والحكمة تقتضيه، كما لا يشاء شيئاً إلا والحكمة تقتضيه ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ « الإنسان : ٣٠ » .

فيتبين أنه لا يشاء شيئاً ألا عن علم وحكمة ، وليس مجرد المشيئة خلافاً لمن أنكر حكمة الله من الجهمية وغيرهم .فقالوا : إنه لا يفعل الأشياء إلا لمجرد المشيئة ، فجعلوا على زعمهم المخلوقين أكمل تصرفاً من الله ، لأن كل عاقل من المخلوقين لا يتصرف إلا لحكمة ولهذا كان الذي يتصرف بسفه يحجر عليه .

قال تعالى : ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ . « النساء : ٥ ».

**فنحن نقول :** إن الله - جل وعلا- لا يفعل شيئاً ولا يحكم بشيء إلا لحكمة ، ولكن هل يلزم من الحكمة أن نحيط بها علماً ؟

**الجواب :**

لا يلزم لأننا أقصر من أن نحيط علماً بحكم الله كلها ، صحيح أن بعض الأشياء نعرف حكمتها ، لكن بعض الأشياء تعجز العقول عن إدراكها ، والمقصود من قوله : « **إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد** » : بيان أن من الأشياء التي سألها النَّبي ﷺ لم يعطها ، لأن الله قضى بعلمه وحكمته ذلك ،ولا يمكن أن يرد ما قضاه الله - عز وجل - والقضاء قد يتوقف على الدعاء ، بل إن كل القضاء أو أكثر القضاء له أسباب ، فدخول الجنة لا يمكن إلا بسبب يترتب دخول الجنة عليه ، وهو الإيمان والعمل الصالح أو رحمته تعالى كذلك حصول المطلوب، قد يكون الله - عز وجل - منعه حتى نسأل .

لكن من الأشياء ما لا تقتضي الحكمة وجوده وحينئذ يجازى الداعي بما هو

أكمل ، أو يؤخر له ويدخر له عند الله - عز وجل - أو يصرف عنه من السوء ما هو أعظم ، والدعاء إذا تمت فيه الشروط ولم يجب ، فإننا نجزم بأنه ادخر له .

**وقوله :** « **وإني أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة** » : هذه واحدة .

**والثانية قوله :** « **أن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً** » : وهذه الإجابة قيدت بقوله « **حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً** » إذا وقع ذلك منهم ، فقد يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . فكأن إجابة الله لرسوله ﷺ في الجملة الأولى بدون استثناء .

وفي الجملة الثانية باستثناء « **حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً** » ، وهذه هي الحكمة من تقديم قوله « **إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد** » .

فصارت إجابة الله لرسوله ﷺ مقيدة .

ومن نعمة الله أن هذه الأمة لن تهلك بسنة بعامة أبداً فكل من يدين بدين الرسول ﷺ فإنه لن يهلك وإن هلك قوم في جهة بسنة فإنه لا يهلك الآخرون ، فإذا صار بعضهم يقتل بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فإنه يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم وهذا هو الواقع ، فالأمة الإسلامية حين كانت أمة واحدة عوناً في الحق ضد الباطل كانت أمة مهيبة ولما تفرقت وصار بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً سلط الله عليهم عدواً من سوى أنفسهم وأعظم من سلط عليهم فيما أعلم التتار ، فقد سلطوا على المسلمين تسليطاً لا نظير له فيقال : إنهم قتلوا في بغداد وحدها أكثر من خمسمائة عالم في يوم واحد وهذا شيء عظيم وقتلوا الخليفة وجعلوا الكتب الإسلامية جسراً على نهر دجلة يطؤوها بأقدامهم ويفسدونها وكانوا يأتون إلى الحوامل ويبقرون بطونهن ويخرجون أولادهن يتحركون أمامهم فيقتلونهم وهي حية تشاهد ثم تموت .

**قال ابن الأثير في ( الكامل ) :**

« لقد بقيت عدة سنين مُعْرِضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها كارهًا لذكرها فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه نعي الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أمي لم تلدني ! ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ! إلى أن حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ذلك لا يجدي »

وذكر كلاماً طويلاً ووقائع مفجعة ، ومن أراد مزيداً من ذلك فليرجع إلى حوادث سنة ٦١٧و٦٥٦هـ من الكتاب المذكور .

وفي الحديث دليل على تحريم القتال بين المسلمين وإهلاكهم بعضهم بعضاً ، وسبي بعضهم بعضاً وأنهم يجب أن يكونوا أمة واحدة حتى تبقى هيبتهم بين الناس وتخشاهم الأمم .

قوله « **إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين** » : بين الرسول ﷺ أنه لا يخاف على الأمة إلا الأئمة المضلين .

و« **الأئمة** » : جمع إمام ، والإمام قد يكون إماماً في الخير أو الشر .

وقال تعالى في أئمة الخير : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ « السجدة : ٢٤ » .

وقال تعالى عن آل فرعون أئمة : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ** ﴾ « القصص : ٤١ » .

والذي في حديث الباب « الأئمة المضلين » أئمة الشر ، وصدق النَّبي ﷺ إن أعظم ما يخاف على الأمة الأئمة المضلون كرؤساء الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين تفرقت الأمة بسببهم .

والمراد بقوله « **الأئمة المضلين** » : الذين يقودون الناس باسم الشرع والذين

يأخذون الناس بالقهر والسلطان ، فيشمل الحكام الفاسدين والعلماء المضلين الذين يدعون أن ما هم عليه شرع الله ، وهم أشد الناس عداوة له .

**قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ :**

« لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان ، فإن بصلاحه صلاح الأمة » .

قوله « **وإذا وقع عليهم السيف** ....» إلخ ،هذا من آيات النّبي ﷺ وهذا حق واقع ، فإنه لما وقع السيف في هذه الأمة لم يرفع ، فما زال بينهم القتال منذ قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وصارت الأمة يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً .

**وقوله :** « **ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين** » : الحي : بمعنى القبيلة ، وهل المراد باللحوق هنا اللحوق البدني بمعنى أنه يذهب هذا الحي إلى المشركين ويدخلون فيهم ، أو اللحوق الحكمي بمعنى أن يعملوا بعمل المشركين ، أو الأمران معاً ؟ .

الظاهر أن المراد جميع ذلك ، وأما الحي[1] فالظاهر أن المراد به الجنس وليس واحد الأحياء وإن قيل إن المراد واحد الأحياء فلا بد أن يكون لهذا الحي أثره وقيمته في الأمة الإسلامية ، بحيث يتبين ويظهر وربما يكون لهذا الحي إمام يزيغ – والعياذ بالله – ويفسد ، فيتبعه كل الحي ، ويتبين ويظهر أمره .

**وقوله :** « **وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان** » : **الفئام** : أي الجماعات .

وهذا وقع ففي كل جهة من جهات المسلمين من يعبدون القبور ويعظمون أصحابها ويسألونهم الحاجات والرغبات ويلتجئون إليهم .

**و الفئام** : أي ليسوا أحياء ، فقد يكون بعضهم من قبيلة والبعض الآخر من قبيلة فيجتمعون .

---

(١) المراد من الحي هنا القبيلة وليست مقابلاً للميت .

**قوله :** « **وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون** » : حصرهم النَّبي ﷺ بعدد وكلهم يزعم أنه نبي أوحي إليه وهم كذابون ، لأن النَّبي ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده ، فمن زعم أنه نبي بعد الرسول ﷺ فهو كاذب كافر حلال الدم والمال ، ومن صدقه في ذلك فهو كافر حلال الدم والمال ، وليس من المسلمين ولا من أمة محمد ﷺ ، ومن زعم أنه أفضل من محمد وأنه يتلقى من الله مباشرة ومحمد ﷺ يتلقى منه بواسطة الملك فهو كاذب كافر حلال الدم والمال .

**وقوله :** « **كذابون ثلاثون** » : هل ظهروا أم لا ؟ .

## الجواب :

ظهر بعضهم وبعضهم ينتظر لأن النَّبي ﷺ لم يحصرهم في زمن معين ، وما دامت الساعة لم تقم فهم ينتظرون ،

■ **وقوله :** « **وأنا خاتم النبيين** » : أي آخرهم وأكد بذلك .

■ **وقوله :** « **لا نبي بعدي** » : فإن قيل : ما الجواب عما ثبت في نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان مع أنه نبي ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام .

## الجواب :

إن نبوته سابقة لنبوة محمد ﷺ .

وأما كونه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ، فليس تشريعاً جديداً ينسخ قبول الجزية ، بل هو تشريع من محمد ﷺ ، لأنه أخبر به مقرراً له .

**وقوله :** « **ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة** » : المعنى إنهم يبقون إلى آخر وجودهم منصورين ، هذا من نعمة الله فلما ذكر أن حياً من الأحياء يلتحقون بالمشركين وإن فئاماً يعبدون الأصنام وأن أناساً يدعون النبوة ، فيكون هنا الإخلال بالشهادتين « شهادة أن لا إله إلا الله بالشرك ، وأن محمداً رسول الله » بادعاء النبوة

وذلك أصل التوحيد ، بل أصل الإسلام شهادة « أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله » فلما بين ذلك لم يجعل الناس ييأسون فقال « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة** » : والطائفة : الجماعة .

■ **وقوله :** « **على الحق** » : جار ومجرور خبر تزال .

■ **وقوله :** « **منصورة** » : خبر ثان ويجوز أن يكون حالاً ، والمعنى : لا تزال على الحق وهي كذلك أيضاً منصورة .

■ **وقوله :** « **لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم** » : خذلهم أي : لم ينصرهم ويوافقهم على ما ذهبوا إليه .

وفي هذا دليل على أنه سيوجد من يخذلهم لكنه لا يضرهم لأن الأمور بيد الله وقد قال ﷺ : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك** » رواه الترمذي (٢٥١٦)وأحمد (١ / ٢٩٣ - ٣٠٧) وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٧٩٥٧).

وكذلك لا يضرهم من خالفهم ، لأنهم منصورون بنصر الله،فالله - عز وجل - إذا نصر أحداً فلن يستطيع أحد أن يذله .

■ **وقوله :** « **حتى يأتي أمر الله** » : أي الكوني وذلك عند قيام الساعة عندما يأتي أمره سبحانه وتعالى بأن تقبض نفس كل مؤمن حتى لا يبقى إلا شرار الخلق ، فعليهم تقوم الساعة ، الشاهد من هذا الحديث : قوله في رواية البرقاني : « **حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ويعبد فئام من أمتي الأوثان** » .

■ **وقوله :** « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة** » : هذه لم يحدد مكانها ، فتشمل جميع بقاع الأرض في الحرمين والعراق وغيرهما ، فالمهم أن هذه الطائفة مهما بعدت بهم الديار ، فهي طائفة واحدة منصورة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

**مسألة :** قال بعض السلف إن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث فما مدى صحة هذا القول ؟.

**الجواب :**

هذا ليس بصحيح على إطلاقه ،بل لابد من التفصيل ، فإن أريد بذلك أهل الحديث المصطلح عليه ، الذين يأخذون الحديث رواية ودراية وأخرج منهم الفقهاء وعلماء التفسير وما أشبه ذلك فهذا ليس بصحيح ، لأن علماء التفسير والفقهاء الذين يتحرون البناء على الدليل هم في الحقيقة من أهل الحديث ، ولا يختص بأهل الحديث صناعة ، لأن العلوم الشرعية ، تفسير وحديث وفقه . . إلخ .

**فالمقصود :** إن كل من تحاكم إلى الكتاب والسُّنَّة فهو من أهل الحديث بالمعنى العام ، وأهل الحديث هم : كل من يتحرى العمل بسُنَّة رسول الله ﷺ ، فيشمل الفقهاء الذين يتحرون العمل بالسُّنَّة وإن لم يكونوا من أهل الحديث اصطلاحاً .

فشيخ الإسلام ابن تيمية مثلاً لا يعتبر اصطلاحاً من المحدثين ، ومع ذلك فهو رافع راية الحديث ، والإمام أحمد رحمه الله تنازعه طائفتان .

**أهل الفقه قالوا :** إنه فقيه .

**وأهل الحديث قالوا :** إنه محدث ، وهو أمام في الفقه والحديث والتفسير ، ولا شك أن أقرب الناس تمسكاً بالحديث هم الذين يعتنون به .

ويخشى من التعبير بأن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث أن يظن أنهم أهل الحديث الذين يعتنون به اصطلاحاً . فيخرج غيرهم .

**فإذا قيل :** أهل الحديث بالمعنى الأعم الذين يأخذون بالحديث [١] ،سواء انتسبوا إليه اصطلاحاً واعتنوا به أو لم يعتنوا لكنهم أخذوا به فحينئذ يكون صحيحاً [٢].

---

(١) يأخذون بالحديث : أي يعتدون به فقهاً وسلوكاً اقتداء بالنبي ﷺ .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ٩ / ٤٦٩ – ٤٨٢ ) .

## العبادة وسيلة القرب والمحبة

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه** » . أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) .

### الشرح :

قوله « إن الله تعالى قال : « **من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب** » : هذا الحديث حديث قدسي لأن النَّبي ﷺ رواه عن ربه وكل حديث رواه النَّبي ﷺ عن ربه يسمى عند العلماء حديثاً قدسياً .

المعاداة ضد الموالاة ، والولي ضد العدو وأولياؤه سبحانه وتعالى هم المؤمنون المتقون ودليله قوله تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ « يونس : ٦٢ - ٦٣ » .

■ **وقوله:** « **آذنته** » : يعني أعلمته أي إني أعلنت عليه الحرب فيكون من عادى وليا من أولياء الله فقد آذن الله تعالى بالحرب وصار حربا لله .

ثم ذكر تبارك وتعالى أسباب الولاية فقال : « **وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه** » يعنى : ما عبدني أحد بشئ أحب مما افترضته عليه ، لأن العبادة تقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

فمثلاً ركعتان من الفريضة أحب إلى الله من ركعتين نفلاً ، ودرهم من زكاة أحب إلى الله من درهم من صدقة ، وحج فريضة أحب إلى الله من حج تطوع ، وصوم رمضان أحب إلى الله من صوم تطوع . وهلم جرا .

ولهذا جعل الله تعالى الفرائض لازمة في العبادة مما يدل على توكيدها ومحبته لها .

■ **وقوله :** « **وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل** » : يعني بعد قيامه بالفرائض.

والفعل « **يزال** » : يدل على الإستمرار ويعني يستمر .

■ **وقوله :** « **عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل** » : يعني بعد الفرائض حتى أحبه .

■ **وقوله :** « **حتى** » : محتمل .

هنا الغاية وتحتمل التعليل فعلى الأول يكون المعنى أن تقربة إلى الله يوصله إلى محبة الله ، وعلى الثاني يكون المعنى لا يزال يتقرب إليَّ بالنوافل ويكون هذا التقرب سبباً لمعيتهه والغاية واحدة .

■ **وقوله :** « **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به** » : أي سددته في كل ما يسمع فلا يسمع إلا ما فيه الخير له وليس المعنى أن يكون سمع الإنسان لأن سمع الإنسان هي صفة من صفاته أي صفات الإنسان محدثة بعد أن لم يكن ، وهو صفة فيه أي في الإنسان ، وكذلك يقال في « **بصره الذي يبصر به** » : أي أن الله يسدده فيما يرى ، فلا يرى إلا ما كان فيه خير ولا ينظر إلا إلى ما كان فيه خير .

■ **وقوله :** « **ويده التي يبطش بها** » : ويقال فيما سبق في السمع ، أي أن الله تعالى يسدده في بطشه وعمله بيده فلا يعمل إلا ما فيه خير .

■ **وقوله :** « **ورجله التي يمشي بها** » : أي يسدده أيضاً في مشيته فلا يمشي إلا إلى الخير .

■ **وقوله :** « **وإن سألني لأعطينه** » : أي دعاني بشيء وطلب مني شيئاً لأعطيته.

وقوله « **ولئن استعاذني لأعيذنه** » : فذكر السؤال الذي به حصول المطلوب والإستفادة التي بها النجاة من المرهوب وأخبر أنه سبحانه وتعالى يعطي هذا المتقرب إليه بالنوافل يعطيه ماسأل ويعيذه مما استعاذ .

**في هذا الحديث فوائد** : وأعني الحديث الثامن والثلاثين فيه فوائد .

[ ١ ] إثبات الولاية لله عز وجل أي أن لله تعالى أولياء وهذا قد دل عليه القرآن الكريم ، قال الله تعالى ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ « يونس : ٦٢ - ٦٣ » .

[ ٢ ] كرامة الأولياء على الله حيث كان الذي يعاديهم قد آذن الله بالحرب .

[ ٣ ] أن معاداة أولياء الله من كبائر الذنوب لأن الله جعل ذلك إيذاناً بالحرب .

[ ٤ ] أن الفريضة أحب إلى الله من النافلة . لقوله « **وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه** » .

[ ٥ ] الإشارة إلى أن أوامر الله عز وجل نوعان : ( **فرائض - ونوافل** ) .

[ ٦ ] إثبات المحبة لله عز وجل لقوله: « **أحب إليَّ مما افترضته عليه** » ، والمحبة صفة قائمة بذات الله سبحانه وتعالى ومن ثمراتها الإحسان إلى المحبوب وثوابه وقربه من الله عز وجل .

[ ٧ ] أن الأعمال تتفاضل في نفسها .

[ ٨ ] الدلالة على ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة من أن الإيمان يزيد وينقص لأن الأعمال من الإيمان فإذا كانت تتفاضل في محبة الله لها يلزم من هذا أن الإيمان يزيد وينقص بحسب تفاضلها .

[ ٩ ] أن في محبة الله عز وجل تسديد العبد في سمعه وبصره ويده ورجله مؤيداً من الله عز وجل .

[ ١٠ ] أنه كلما ازداد الإنسان تقرباً إلى الله بالأعمال الصالحة فإن ذلك أقرب إلى إجابة دعائه وإعاذته مما يستعيذ اللهَ منه لقوله تعالى في الحديث : « **ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه** » [1].

---

(١) شرح الحديث رقم (٩٥) من « رياض الصالحين » .

# فضل الصلاة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « **إن أول ما يحـاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فرط فقد خاب وخسر ، فـإن انتقص من فريضته شـيئاً ، قال الرب عز وجـل : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فيكمل بها مـا انتقص من الفريضة ؟ ، ثم تكون سـائر أعماله على هذا** » رواه الترمـذي وقال حـديث حسن برقم (٤١٣) وأبو داود (٨٦٤) وصـححه الألـباني في «صحيح الترمذي » (٣٣٧).

## الشرح :

هذا حديث في فـضل الصلاة والوعيد الشـديد على من تركها والنهي الأكـيد ، وفيه أن أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة « **الصلاة** ».

وهذا بالنسـبة لحق الله عـز وجل - فإن صلحت فـقد أفلح ونجح ، وإلا فـعلى العكس خاب وخسر - والعياذ بالله .

أما بالنـسبة لحـقوق الآدمـيين فأول ما يقـضى بين الناس في الدماء لأنـها أعظم الحقوق ، والدماء : تعني القتل ، ثم يأتي بقية المحاسبة على ما تبقى .

ولكن الله عز وجل إذا حاسب العبـد على الصلاة وقد صحت أفلح ونجح ،وإلا خاب وخسر ثم يأمر الله عز وجل أن ينظر في أعماله هل له نوافل ، فإنها تكمل بها الفرائض ، ولهـذا كان من فضل الله ورحـمته ونعمـته وإحسـانه أن شرع لنا النوافل خلف الصلوات وقبلـها وفي كل وقت إلا الأوقات المنهي عنهـا ، وذلك لأن الإنسان لابد أن يكون في صـلاته خلل فـيكمل هذا الخلل بهـذه النوافل ، فـالظهـر له أربع ركعات قبلها بتـسليمين وركعتان بعدها ، وصلاة العصـر ليس لها راتبة لكن لها سُنَّة مطلقة كما قال النَّبي ﷺ « **بين كل أذانين صلاة** »[1] صلاة المغرب لها راتبة بعدها

(١) البخاري ( ٦٢٤ - ٦٢٧ ) مسلم ( ٨٣٨ ) .

ركعتان وسُنَّة مطلقة قبلها ، وصلاة العشاء بعدها ركعتان ، والفجر قبلها ركعتان ، ثم هناك صلاة الليل ، وصلاة الوتر ، وصلاة الضحى .

كل هذه النوافل يزداد بها أجر المصلي ويكمل بها النقص الذي حصل في الفريضة ، وهذه من نعمة الله - عز وجل - نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته [1].

### فضل صلاة الصبح والعصر :

وعن أبي هريرة ﷺ - قال : **قال رسول الله ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم الله - وهو أعلم بهم - : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون »** . { رواه البخاري ( ٥٥ ) ، ورواه مسلم ( ٦٣٢ ) } .

### الشرح :

هذا دليل على أن صلاة الفجر كالمفتاح لصلاة النهار، بل لعمل النهار كله، وأنها كالمعاهدة مع الله بأن يقوم العبد بطاعة ربه- عز وجل - ممتثلاً لأمره ، مجتنباً لنهيه.

### ومن فضائل صلاة الفجر والعصر :

﴿ ١ ﴾ أن الله - سبحانه وتعالى - وكَّل بالعباد ملائكة معقبات يتعاقبون فينا يحفظوننا من أمر الله - عز وجل - ويجتمعون في صلاة الفجر ، وفي صلاة العصر، ثم يصعد الذين باتوا فينا إلى الله ،- عز وجل - فيسألهم - وهو سبحانه وتعالى أعلم - كيف تركتم عبادي ؟ فيسألهم ذلك إظهاراً لشرف العباد ، وتنويهاً بفضلهم ، وليس خفاءً على الله سبحانه وتعالى ، لأنه يعلم السر وأخفى ، ولكن لإظهار فضلهم ، يسألهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : ( أتيناهم وهم يصلون

---

(١) شرح الحديث رقم (١٠٨١) من « رياض الصالحين » .

وتركناهم وهم يصلون ) ، لأنهم يأتون في أول الليل وأول النهار فيتعاقبون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر: هؤلاء ينزلون وهؤلاء يصعدون ، وقيد الله - سبحانه وتعالى - وقت صعودهم ونزولهم بهاتين الصلاتين لفضلهما لأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى ، وصلاة الفجر هي الصلاة المشهودة .

﴿ ٢ ﴾ ومن ذلك أيضاً ما رواه جرير بن عبد الله البجلي ﷺ أنهم كانوا مع النَّبي ﷺ « فنظر إلى القمر ليلة البدر - ليلة الرابع عشر - فقال ﷺ : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر** » [1] يعني يوم القيامة يراه المؤمنون في الجنة كما يرون القمر ليلة البدر ، ليس المعنى أن الله مثل القمر ، لأن الله ليس كمثله شيء ، بل هو أعظم وأجل - عز وجل - .

وقد قال ﷺ - فيما صح عنه : « **حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** » لكن المراد من المعنى تشبيه الرؤية بالرؤية ، فكما أننا نرى القمر ليلة البدر رؤية حقيقة ليس فيها اشتباه فإننا سنرى ربنا - عز وجل - كما نرى هذا القمر رؤية حقيقة بالعين دون اشتباه .

واعلم أن ألذ نعيم وأطيب نعيم عند أهل الجنة - أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم - ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ [ يونس : ٢٦ ] ، فسرها النَّبي ﷺ بأنها النظر إلى وجه الله .

﴿ **الْحُسْنَىٰ** ﴾ : اسم تفضيل مؤنث يقابله « أحسن » في المذكر ، والزيادة : زيادة على الأحسن وهي النظر إلى وجه الله - عز وجل - فيقول رسول الله ﷺ لما ذكر أننا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر : « **فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها فافعلوا** » .

**والمراد من قوله :** « **استطعتم ألا تغلبوا على هنا فافعلوا** » . وفي هذا دليل على أن المحافظة على صلاة الفجر ، وصلاة العصر من أسباب النظر إلى وجه الله

(١) البخاري ( ٥٥٤ ) مسلم (٦٣٣) .

- عز وجل - ويالهـا من قيمـة عظيمة ، يالهـا من ثمن ومثمن وتحـافظ على صلاة الفجر وصلاة العصر وتنظر إلى وجه الله يوم القيامة في جنات النعيم .

﴿ **٣** ﴾ ومن فضائل صلاة العصر خاصة : أن من تـركها فقد حبط عمله ، لأنها عظيمة ، فإذا تركتها حبط عملك .

وقد استدل بهذا بعض العلماء على أن من ترك صلاة العصر كفر ، لأنه لايحبط الأعمال إلا الـردة ،كما قـال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [ الأنعام : ٨٨ ] ، وقـال تعالى : ﴿ **فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [ البقرة : ٢١٧ ] .

**فيقول بعض العلماء :**

صلاة العصر خاصة من تركها فقد كفر ، وكذلك من ترك بقية الصلوات عموماً فقـد كفر ، وهذا القـول ليس ببعيـد من الصواب ، لأن حبـوط العمل لا يكون إلا بالكفر والردة ، ففي هذا دليل على عظم شأن هذه الصلاة - صلاة العصر - ولذلك حض الله على المحـافظة عليـها مـن بين سائر الصـلوات فقـال : ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى** ﴾ [ البقرة : ٢٣٨ ] يعنـي : صـلاة العصر : ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾ [ البقرة : ٢٣٨ ] [١] .



(١) شرح الحديث رقم ( ١٠٥٠ ) من « رياض الصالحين » .

# فضل الصيام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { **قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب . فإن سابه أحد أو قاتله . فليقل : إني صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه** } البخاري ( ١٩٠٤ ) ومسلم (١١٥١ ) وهذا لفظ رواية البخاري . وفي رواية له : { **يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي . الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها** } .

في رواية لمسلم : { **كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف** } . قال الله تعالى : { **إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به : يدع شهوته وطعامه من أجلي . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره . وفرحة عند لقاء ربه . ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** } .

## الشرح :

هذا الحديث - حديث أبي هريرة نقله المؤلف - رحمه الله - في باب وجوب الصوم في رياض الصالحين ، بعد أن ذكر الآيات وذكر فيه فوائد :

أن الله سبحانه وتعالى- جعل الصوم له وعمل ابن آدم الآخر- أي غير الصوم - لابن آدم يقول الله تعالى : { **كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي** } .

**والمعنى :** أن الصيام يختصه الله سبحانه وتعالى - من بين سائر الأعمال . لأنه - أي الصيام - أعظم العبادات إطلاقاً . فإنه سر بين الإنسان وربه لأن الإنسان لايعلم إذا كان صائماً أو مفطراً . هو مع الناس يذهب ويأتي ويدخل ويخرج ولايعلم به . نيته وباطنه . فلذلك كان أعظم إخلاصاً فاختصه الله من بين سائر الأعمال .

**قال بعض العلماء :** ومعناه إذا كان الله سبحانه وتعالى يوم القيامة وكان على الإنسان مظالم للعباد . فإنه يؤخذ للعباد من حسناته إلا الصيام فإنه لايؤخذ منه شيء لأنه لله عز وجل وليس للإنسان . وهذا معنى جيد . أن الصيام يتوفر أجره لصاحبه ولايؤخذ منه لمظالم الخلق شيئاً .

**ومنها :** أن عمل ابن آدم يزداد من حسنة لعشر أمثالها . إلا الصوم فإنه يعطى أجره بغير حساب : يعني : أنه يضاعف أضعافاً كثيرة .

**قال أهل العلم :** وذلك لأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة . ففيه صبر على طاعة الله ، وصبر عن معصية الله ، وصبر على أقدار الله .

**أما الصبر على طاعة الله :** فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحياناً . يكرهه لمشقته . لا لأن الله فرضه . لوكره الإنسان الصوم لأن الله فرضه لحبط عمله . لكنه كرهه لمشقته ولكنه مع ذلك يحمل نفسه عليه . فيصبر عن الطعام والشراب والنكاح لله عز وجل . ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي : [ **يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي** ] .

■ **النوع الثاني من أنواع الصبر :** الصبر عن المعصية وهذا حاصل للصائم فإنه يصبر نفسه عن معصية الله عز وجل فيتجنب اللغو والرفث والزور وغير ذلك من محارم الله .

■ **الثالث : الصبر على أقدار الله** : وذلك أن الإنسان يصيبه في أيام الصوم - ولاسيما في أيام الصيف الأيام الحارة والطويلة - من الكسل والملل والعطش ما يتألم ويتأذى به ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله .

فلما اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة كان أجره بغير حساب قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر : ١٠ ] .

**ومن الفوائد التي اشتمل عليها هذا الحديث :** أن للصائم فرحتين : الفرحة

الأولى عند فطره إذا أفطر فرح بفطره .

**فرح بفطره من وجهين :**

**الوجه الأول :** أنه أدى فريضة من فرائض الله وأنعم الله بها عليه . وكم من إنسان في المقابر يتمنى أن يصوم يوماً واحداً فلا يكون له . وهذا قد مَنَّ الله عليه بالصوم فصام فهذه نعمة فكم من إنسان شرع في الصوم ولم يتمه . فإذا أفطر فرح لأنه أدى فريضة من فرائض الله .

**ويفرح أيضاً فرحاً آخر :** وهو أن الله أحل له ما يوافق طبيعته من المآكل والمشارب والمناكح بعد أن كان ممنوعاً منها .

**فهاتان فرحتان في الفطر :**

**الأولى :** أن الله مَّن عليه بإتمام هذه الفريضة .

**الثانية :** أن الله مَّن عليه بما أحل له من محبوباته من طعام وشراب ونكاح.

**ومن فوائد هذا الحديث :**

الإشارة إلى الحكمة من فرض الصوم حيث قال ﷺ : { **فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب** } . يعني : لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب . بل يكون وقوراً مطمئناً متأنياً فإن سابه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه . بل يقول : إني صائم . يقول ذلك . لئلا يتعالى عليه الذي سابه ، كأنه يقول : أنا لست عاجزاً عن أن أقابلك بما سببتني ولكني صائم . بمعنى صومي يمنعني من الرد عليك . وعلى هذا فيقول جهراً ؟.

**كذلك أيضاً إذا قال :** ( إني صائم ) يردع نفسه عن مقابلة هذا الذي سابه كأنه يقول لنفسه : ( إني صائم فلا تردي على هذا الذي سب ) وهذا أيضاً معنى جليل عظيم . ولهذا كان النَّبي ﷺ إذا رأى من الدنيا ما يعجبه وخاف أن تتعلق نفسه بذلك قال : { **لبيك إن العيش عيش الآخرة** } .

فالنفس مجبولة على محبة ما تميل إليــه وشهواتها . فإذا رأى ما يعجبه من الدنيا فليقل : ( لبيك ) يعـني إجابة لك يارب ( إن العيش عيش الآخرة ) أمـا عيش الدنيا فزائل وفانٍ .

فهذه من فـوائد الصوم نقلها المؤلف – رحـمه الله – مما رواه أبو هريرة عن النَّبي ﷺ وفي هذا الحديث نوعان من أنواع الحديث : ألفاظ قـدسية من كلام الله – عز وجل – التي رواها النَّبي ﷺ عن ربه . وألـفاظ نبـوية من عند النَّبي ﷺ والله أعلم [1] .

---

(١) شرح الحديث رقم (١٢١٥) من « رياض الصالحين » .

## فضل الجهاد في سبيل الله

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « **يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد** » البخاري ( ٢٨٢٦ ) مسلم ( ١٨٩٠ ) .

**الشرح :**

عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال : « يضحك الله إلى رجلين . . . » الحديث .

وسبب ضحك الله أنه كان بينهما تمام العداوة في الدنيا فأحدهما مؤمن والثاني كافر حتى إن الكافر قتل المؤمن فقلب الله هذه العداوة التي في قلب كل واحد منهما وأزال ما في نفوسهما بعد إسلامه وشفاه من الغل ، لأن أهل الجنة يطهرون من الغل والحقد كما قال الله تعالى في وصفهما :﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ وقال قبلها: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [ الحجرات : ٤٧ ] . فهذا وجه العجب من هذين الرجلين .

**فيه دليل :** على أن الكافر إذا تاب من كفره ولو كان قد قتل أحداً من المسلمين فإن الله تعالى يتوب عليه لأن الإسلام يهدم ما قبله [١] .



(١) شرح الحديث رقم ( ٢٤ ) من « رياض الصالحين » .

## فضل الذكر

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى :« **أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم** »( البخاري / ٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٧٥ ) .

**الشرح :**

فيهما أيضاً دليل على فضيلة الذكر ، وهو أن الإنسان إذا ذكر الله عز وجل في نفسه ذكره الله في نفسه ، وإن ذكره في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم ، يعني : إن ذكرت ربك في نفسك إما أن تنطق بلسان سر أو يسمعك أحد ، أو تذكر الله في قلبك فإن الله تعالى يذكرك في نفسه ،وإن ذكرته في ملأ أي : عند جماعة ، فإن الله؟ تعالى يذكرك في ملأ خير منهم ، أي في ملاء من الملائكة يذكرك عندهم ويعلي ذكرك ويثني عليك جل وعلا ، ففي هذا دليل على فضيلة الذكر ، وأن الإنسان إذا ذكر الله عند ملأ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه . إلا أن يخاف الإنسان على نفسه الرياء ، فإن خاف الرياء فلا يجهر ، ولكن في قلبه وسواس بأن يقول : إذا ذكرت الله جهراً فهذا رياء ، فلا أذكر الله ، فليدع هذه الوساوس ويذكر الله تعالى عند الناس وفي نفسه حتى يذكره الله عز وجل كما ذكر ربه [١] .



(١) شرح الحديث رقم (١٤٣٥) من « رياض الصالحين » .

## فضل مجالس الذكر

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل ، تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم – وهو أعلم – : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك[٢] ، فيقول : هل رأوني ؟ ، فيقولون لا والله ما رأوك . فيقول : كيف لو رأوني ؟ ، قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر تسبيحاً .**

**فيقول : فماذا يسألون ؟ ، قال : يقولون : يسألونك الجنة . قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها . قال : يقول : وكيف لو رأوها ؟ قال: يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة . قال :فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار ، قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها ؟ فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم** » ( رواه البخاري / ٦٤٠٨ ،ومسلم ٢٦٨٩ )

وفي رواية لمسلم عند أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النَّبي ﷺ قال : « **إن لله ملائكة سيارة فضلاء يتتبعون مجالس الذكر ، فإذا جلسوا مجلساً فيه ذكر ، قعدوا معهم ، وحفف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا أو صعدوا إلى السماء ، فيسألهم الله عز وجل – وهو أعلم – : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الأرض : يسبحونك ، ويكبرونك،**

(١) يمجدونك : يعظمونك .

**ويهللونك ، ويحمدونك ، ويسألونك . قال : وماذا يسألوني ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : لا ، أي رب : قال : فكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك قال : ومما يستجيروني ؟ قالوا : من نارك يارب . قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، فقال : كيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : يستغفرونك ، فيقول : قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما استجاروا . قال : فيقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مرَّ ، فجلس معهم ، فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .**

**الشرح :**

قال المؤلف : في كتابه ( رياض الصالحين ) باب : فضل حلق الذكر يعني الاجتماع على ذكر الله عز وجل . ثم ساق الآية الكريمة : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** ﴾ [ الكهف : ٢٨ ]

فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصبر نفسه مع هؤلاء القوم الفضلاء الشرفاء الكرماء ، وصبر النفس يعني حبسها : احبس نفسك معهم فإن هؤلاء القوم خير من تجلس اليهم ﴿ **يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ** ﴾ أي في أول النهار ، وبالعشي في آخر النهار ، ومن ذلك إن شاء الله الاجتماع على صلاة الفجر وعلى صلاة العصر ، لأن الأولى في الصباح والثانية في المساء ،غداة وعشياً ﴿ **يَدْعُونَ رَبَّهُم** ﴾ أي: يريدون وجهه ،هذا دليل على إخلاصهم لله عز وجل وأنهم لايريدون من هذا الاجتماع والدعاء أن يمدحوا بذلك ويقال : ما أعظم عبادتهم ، وما أكثرها ، وما أصبرهم عليها ! ، لايريدون هذا كله ، يريدون وجه الله عز وجل : ﴿ **وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [ الكهف : ٢٨ ] يعني : لا تتجاوز عنهم وتفارقهم وتغض الطرف عنهم من أجل الدنيا . أما من أجل مصلحة أخرى أعظم مما هم عليه فلا بأس ، لكن من أجل الدنيا لا ، هؤلاء هم القوم ، وهم أهل الدنيا والآخرة ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾ يعني : لا تطع الغافل الذي غفل

قلبه عن ذكر الله ، وكان أمره فرطاً ، واتبع هواه ، وضاعت عليه دنياه وضاعت عليه أخراه ، ففي هذه الآية الكريمة فضل الاجتماع على الذكر والدعاء ، وفيها فضل الإخلاص ، وأن الإخلاص هو الذي عليه مدار كل شيء وفيها أن الإنسان لا ينبغي له أن يدع أحوال الآخرة والعبادات إلى أحوال الدنيا .

**أما الأحاديث :** فذكر المؤلف حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في صحيح البخاري، وصحيح مسلم : « إن الله تعالى وكل ملائكة يسيحون في الأرض يطلبون حلق الذكر » .

والملائكة عالم غيبي فاضل ، خلقهم الله عز وجل من النور وجعلهم صمداً لا أجواف لهم ، فلا يأكلون ولا يشربون ، ولا يحتاجون إلى هذا فليست لهم بطون ولا أمعاء ، فهم صُمدُ ولهذا لا يأكلون ولا يشربون ، وهم عالم غيبي لايراهم البشر وقد يرى الله تعالى الناس اياهم أحياناً كما جاء جبريل عليه الصلاة والسلام [1] على هيئة رجل شديد بياض الثوب شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر سفر ولا يعرفه أحد من الصحابة ، وجلس إلى النَّبي ﷺ وسأله ، فهذا يحدث أحياناً ، ولكن الأصل أن عالم الملائكة عالم غيبي . والملائكة كلهم خير ولهذا لايدخلون الأماكن التي فيها ما يغضب الله عز وجل ، فلايدخلون بيتاً فيه صورة ، ولا يصحبون رفقة فيها جرس ولا رفقة معهم كلب ، إلا الكلب المحلل[2] الذي يجوز اقتناؤه ، هؤلاء الملائكة وكلهم الله عز وجل يسيحون في الأرض ، فإذا وجدوا حلق الذكر جلسوا معهم ، ثم حفوا هؤلاء الجالسين بأجنحتهم إلى السماء ، يعني هؤلاء الملائكة من الأرض إلى السماء ، ثم إن الله تعالى يسألهم ليظهر فضيلة هؤلاء القوم الذين جلسوا يذكرون الله ويسبحونه ويحمدونه ويهللونه ويكبرونه ويدعونه . وإلا فالله أعلم عز وجل لماذا جلسوا ، لكن ليظهر فضلهم ونبلهم ، يسأل الملائكة : من أين جئتم ؟

---

(١) رواه مسلم (٨) .

(٢) الكلب المحلل اقتناؤه : هو ما يقتنى لصيد أو حراسة ، ونحوه ..

فيقولون : جئنا من عند عباد لك في الأرض ، يسبحون ويهللون ويكبرون ويحمدون ويدعون . فيقول لهم : ماذا يريدون ؟ قالوا يريدون الجنة « اللهم اجعلنا ممن أرادها وكان من أهلها » قال : هل رأوها ؟ قالوا : لا . قال : فكيف لو رأوها ؟ قالوا : لكانوا أشد لها طلباً ، وأشد فيها رغبة ، لأن الله عز وجل يقول : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ثم يسألهم : ماذا يسألون ؟ قالوا : يسألونك النجاة من النار . هذا معنى الحديث . قال : هل رأوها ؟ قالوا : لا ما رأوها . قال : فكيف لو رأوها ؟ قالوا : لكانوا أشد منها مخافة . فيقول الله عز وجل : أشهدكم أني قد غفرت لهم . جميعاً ، وإذا غفر الله لإنسان استحق أن يدخل الجنة وأن ينجو من النار . فيقول ملك من الملائكة : إن فيهم فلاناً، ما جاء للذكر ، لكن جاء لحاجة فوجد هؤلاء القوم فجلس معهم . فيقول جل وعلا : فله قد غفرت ، هم القوم لايشقى بهم جليسهم .

ففي هذا الحديث دليل على فضيلة مجالسة الصالحين ، وأن الجليس الصالح ربما يعم الله سبحانه وتعالى بجليسه رحمته وإن لم يكن مثله ، لأن الله قال : قد غفرت لهذا . مع أنه ما جاء من أجل الذكر والدعاء لكنه جاء لحاجة ، وقال : « **هم القوم لايشقى بهم جليسهم** » وعلى هذا فيستحب الاجتماع على الذكر وعلى قراءة القرآن وعلى التسبيح والتحميد والتهليل وكل يدعو لنفسه ، ويسأل الله لنفسه ويذكر لنفسه.

ومن الاجتماع كما ذكرت من قبل أن يجتمع المسلمون على صلاة الفجر وصلاة العصر لأنها ذكر : لتسبيح وتكبير وتهليل وقراءة قرآن ودعاء ، وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أن الملائكة الموكلين ببني آدم يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر . وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه [1] .

---

(١) شرح الحديث رقم ( ١٤٤٧ ) من «رياض الصالحين» .

## التوكل على الله

فالأول : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ولكن أنظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب** » ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم .فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ؟ فلم يشركوا بالله شيئاً – وذكروا أشياء – فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « **ما الذي تخوضون فيه ؟** » فأخبروه فقال : « **هم الذين لا يرقون ، ولايسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** » فقام عكاشة ابن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « **أنت منهم** » ثم قام رجل آخر فقال : « ادع الله أن يجعلني منهم » فقال : « **سبقك عكاشة** » [1] .الرُّهط بضم الراء: تصغير رهط وهم دون عشرة .« والأفق »: الناحية والجانب،« وعكاشة » بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها ، والتشديد أفصح .

### الشرح :

بعد ما ساق الآيات ذكر هذا الحديث العظيم الذي أخبرنا فيه النَّبي ﷺ أن الأمم عرضت عليه أي : أرى الأمم عليه الصلاة والسلام وأنبياءهم .

يقول : « **فرأيت النَّبي ومعه الرهيط** » أي : معه الرهط القليل الذي ما بين الثلاثة إلى العشرة » .

---

(١) البخاري (٥٧٠٥ ) مسلم (٢٢٠ ) .

« **والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد** » أي : أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ليسوا كلهم قد أطاعهم قومهم ، بل بعضهم لم يطعه أحد من قومهم وبعضهم أطاعه الرهط ، وبعضهم أطاعة الرجل والرجلان وانظر أن نوحا عليه الصلاة والسلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يذكرهم بالله ويدعوهم إلى الله .

قال الله : ﴿ **وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ** ﴾ [ هود : ٤٠ ) كل هذه المدة ولم يلق منهم قبولاً ، ولا سلم من شرهم .

**قال نوح :** ﴿ **وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** ﴾ [ نوح : ٧ ] وكانوا يمرون به ويسخرون منه .

**يقول :** « رفع لي سواد » أي : بشر كثير فيهم جهمة من كثرتهم « فظننت أنهم أمتي ، فقيل هذا موسى وقومه » لأن موسى من أكثر الأنبياء أتباعاً بعث في بني إسرائيل وأنزل الله عليه التوراة التي هي أم الكتب الإسرائيلية .

**قال :** « ثم قيل لي :انظر ، فنظرت إلى الأفق فإذا سواد عظيم . وفي رواية: سد الأفق . فقيل انظر الأفق الثاني ، فنظرت إليه فإذا سواد عظيم فقيل لي : هذه أمتك» فإن الرسول ﷺ أكثر الأنبياء أتباعاً ، لأنه منذ بعث إلى يوم القيامة والناس يتبعونه صلوات الله وسلامه عليه فكان أكثر الأنبياء تابعاً يملأ أتباعه ما بين الأفقين .

« ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » أي : مع الأمة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يحاسبون ولا يعذبون من الموقف إلى الجنة بدون حساب ولا عذاب ، اللهم اجعلنا منهم .

وقد ورد أن مع كل واحد من السبعين الألف سبعين ألفاً أيضاً ، إذا ضربنا سبعين ألفا في سبعين ألفًا ( ٧٠٠٠٠ × ٧٠٠٠٠ ) = ٤٩٠٠٠٠٠٠٠٠ ) هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب .« ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك ، قال بعضهم ، هم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال

آخرون: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله شيئاً - وذكروا أشياء » وكل أتى بما يظن أنه الصواب .

فخرج عليهم النَّبي ﷺ فسألهم عما يخوضون فيه فأخبروه فقال ﷺ : «هم الذين لايرقون ، ولا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » هذا لفظ مسلم ،وفيه « لايرقون ، والمؤلف - رحمه الله - قال : إنه متفق عليه ، وكان ينبغي أن يبين أن هذا اللفظ لفظ مسلم فقط دون رواية البخاري ، وذلك أن قوله : لايرقون [1] ، كلمة غير صحيحة ، ولاتصح عن النَّبي عليه الصلاة والسلام ، لأن معنى « لايرقون » أي لا يقرؤون على المرضى ، وهذا باطل ، فإن الرسول ﷺ كان يرقي المرضى .

وأيضاً القراءة على المرضى إحسان ، فكيف يكون انتفاؤها سبباً لدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب .

فالمهم أن هذه اللفظة لفظة شاذة وخطأ ،ولايجوز اعتمادها ،والصواب : « **هم الذين لا يسترقون** » أي . لايطلبون من أحد أن يقرأ عليه إذا أصابهم شيء . وقوله: « **ولايكتوون** » أي ، لايطلبون من أحد أن يكويهم إذا مرضوا .

**وقوله :** « **ولا يتطيرون** » أي : لايتشاءمون . « **وعلى ربهم يتوكلون** » فلا يسترقون ، أي : لايطلبون من أحد أن يقرأ عليهم ، لأنهم معتمدون على الله ، ولأن الطلب فيه شيء من الذل ، لأنه سؤال الغير .

فربما تحرجه ولايريد أن يقرأ ، وربما إذا قرأ عليك لايبرأ المرض فتتهمه وما أشبه ذلك .

**وقوله :** « **ولايكتوون** » لأن الكي عذاب بالنار ، لا يلجأ إليه إلا عند الحاجة .

**وقوله :** « **ولايتطيرون** » أي : لا يتشاءمون لا بمرئي ولا بمسموع ولا بمجذوم.

---

(١) « لايرقون » ربما صحت كما في رواية مسلم بمعنى ولايرقون برُقَي الشرك والجاهلية .

وقد كان العرب في الجاهلية يتطيرون ، فإذا طار الطير « ذهب نحو اليسار تشاءموا ، وإذا رجع تشاءموا ، وإذا تقدم نحو الأمام صار لهم نظر آخر . وكذلك نحو اليمين وهكذا .

والطيرة محرمة ، لايجوز لأحد أن يتطير لا بطيور ولا بأيام ، ولا بشهور ، ولا بغيرها ، وتطير العرب فيما سبق بشهر شوال ، إذا تزوج الإنسان فيه ، ويقولون : إن الإنسان إذا تزوج في شهر شوال لم يوفق . فكانت عائشة ﵂ تقول : سبحان الله ، -وهي - التي تزوجها ﷺ في شوال ، ودخل بها في شوال ، وكانت أحب نسائه إليه - فكيف يقال : إن الذي يتزوج في شوال لايوفق .

وكانوا يتشاءمون بيوم الأربعاء، يوم الأربعاء يوم كأيام الأسبوع ليس فيه تشاؤم.

وكان بعضهم يتشاءم بالوجوه ، إذا رأى وجهاً لم يعجبه حتى إن بعضهم إذا افتتح دكانه ، وكان أول من يأتيه رجل أعور ، أو أعمى غلق دكانه ، وقال : اليوم لا رزق فيه .

والتشاؤم كما أنه شرك أصغر فهو حسرة على الإنسان، فيتألم من كل شيء يراه ، لكن لو اعتمد على الله ، وترك هذه الخرافات لسلم وصار عيشه صافياً سعيداً .

**أما قوله :** « وعلى ربهم يتوكلون » فمعناه أنهم يعتمدون على الله في كل شيء لايعتمدون على غيره ، لأنه قال في كتابه : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [ الطلاق : ٣ ] ومن كان الله حسبه فقد كُفي كل شيء .

هذا الحديث العظيم فيه صفات من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب .

فقام عكاشة بن محصن ﵁ فقال : يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم .

ماشاء الله ، بادر إلى الخير ، وسبق إليه ، قال : « أنت منهم » ولهذا نحن نشهد الآن بأن عكاشة بن محصن ﵁ يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ، قال : « أنت منهم » .

« فقام رجل آخر منهم : فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال سبقك بها عكاشة » فرده النَّبي عليه الصلاة والسلام ، لكنه رد لطيف لم يقل : لست منهم ، بل قال : سبقك بها عكاشة ، واختلف العلماء لماذا قال له : سبقك بها عكاشة ؟ فقيل : لأنه كان يعلم بأن هذا الذي قال : ادع الله أن يجعلني منهم قد علم الرسول بأنه منافق والمنافق لايدخل الجنة فضلا عن كونه بغير حساب ولا عذاب .

**وقال بعض العلماء :** بل قال ذلك من أجل أن لا ينفتح الباب فيقوم من لا يستحق أن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب . وعلى كل حال ، فنحن لانعلم علما يقينيا بأن الرسول ﷺ لم يدع الله له إلا بسبب معين ، فالله أعلم .

لكننا نستفيد من هذا فائدة وهو الرد الجميل من الرسول الله ﷺ لأن قوله : سبقك بها عكاشة لايحرجه ولا يحزنه .

وسبحان الله صارت هذه مثلاً إلى يومنا هذا كلما طلب الإنسان شيئاً قد سبق به من قبل : قد سبقك بها عكاشة .

**أورد بعض العلماء إشكالا في هذا الحديث وقال :** إذا اضطر الإنسان إلى القراءة ، أي : أن يطلب من أحد أن يقرأ عليه مثل أن يصاب بعين أو بسحر أو أصيب بجن هل إذا ذهب يطلب من يقرأ عليه يخرج من استحقاق دخول الجنة بغير حساب ولاعذاب ؟

**فقال بعض العلماء :** نعم هذا ظاهر الحديث وليعتمد على الله وليتصبر ويسأل الله العافية .

**وقال بعض العلماء :** نعم هذا ظاهر الحديث بل إن هذا فيمن استرقى قبل أن يصاب أي بأن قال : اقرأ عليَّ أن لاتصيبني العين أو أن لايصيبني السحر أو الجن أو الحمى فيكون هذا من باب طلب الرقية لأمر متوقع لا واقع وكذلك الكي .

فإذا قال إنسان : الذين يكوون غيرهم هل يحرمون من هذا ؟ .

**الجواب:**

لا ، لأن الرسول ﷺ يقـول : ولايكتوون أي : لايطلبـون من يكويهم، لم يقل : ولايكوون وهو عليه الصـلاة والسلام وقد كـوى أكحل سعد بن مـعاذ رضي الله عنه سعد بن مـعاذ الأوسي الأنصاري الذي أصيب يوم الخندق في أكحله فـانفجر الدم ، والأكحل إذا انفجر دمه قُضي على الإنسان .

فكواه في العرق حـتى وقف الدم ، والنبي ﷺ هو أول من يدخل الجنة بغـير حساب ولا عذاب .

فالذين يكوون محسنون والذين يقـرؤون على الناس محسنون ولكن الكلام على من يسترقون أي : يطلبون من يقرأ عليهم، أو يكتوون أي: من يطلبون من يكويهم ، والله الموفق [١] .



(١) شرح الحديث رقم ( ٧٤ ) من « رياض الصالحين » .

## الصبر عند فقد الولـــد

وعن أبي موسى – رضي الله عنه – أن رسـول الله ﷺ قال : « **إذا مات ولد العـبد . قال الله تعالى لملائكـته : قبضتم ولد عـبدي ؟ فيقولون : نعم ، فـيقول : قبـضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فـيقول : فماذا قال عبدي ؟ ، فيقـولون : حمدك واسترجع ، فيـقول الله تعـالى : ابنوا لعـبدي بيتـا في الجنة ، وسـموه بيت الحـمد** » رواه الترمذي (١٠٢١) وحسنه الألباني في ص ١١من « السلسلة الصحيحة » (١٤٠٨ ) .

### الشرح :

فهي فيمن مات له ولد ، فحمد الله واستـرجع وصبر ، فإن الله سبحانه وتعالى يعوضه بذلك الجنة ، كـما في الحديث : « **إن الله تعالى إذا قبضت الملائكة نفس ولد عبـده فإن الله يقول للمـلائكة : قبضتم ولد عـبدي ؟ فيـقولون : نعم** » وهو يعلم عز وجل، لكن يقول هذا ليظـهر فضل هذا العبـد ، وأنه حمد الله واسـترجع عند هذه المصيبة العظيمة ، فيقول : « **قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال ؟ قالوا : حمدك واسترجع يعني : قال : الحمد لله ، إنا لله وإنا إليه راجعون** » .

والحمـد عند المصائب مما يدل على صبـر الإنسان على قضـاء الله وقدره ، وأنه صبر ، فأثنـى على الله بصبره على هذه المصيبة وكـان النَّبي ﷺ إذا أصابه ما يكره قال : « الحمد لله على كل حال » وإذا أصابه مايسـره قال : « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات » [1] .

**فإذا حـصل لك مـا يسـر فـقل :** الحمـد لله الذي بنعمته تتم الصـالحات ، وإذا حصل العكس فقل : الحمد لله على كل حال .

وكذلك أخبر سبحانه وتعالى فيما رواه عنه النَّبي ﷺ أنه «ما من إنسان يقبض الله له ولـده فيصـبر ويحتسب إلا عوضه الله به الجنة » رواه البخاري / ٦٤٢٤ ) [2] .

---

(١) رواه ابن السنى في «عمل اليوم والليلة » ، والحاكم ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٢٦٥ ) .
(٢) شرح الحديث رقم ( ٩٢ ) من « رياض الصالحين » .

## الصبر عند فقد البصر

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة** » يريد عينيه ، رواه البخاري ( ٥٦٥٣ ) .

### الشرح :

أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ففيه أن الرسول ﷺ قال عن ربه تبارك وتعالى إنه ما من إنسان يقبض الله حبيبتيه يعني عينيه فيعمى ثم يصبر إلا عوضه الله بهما الجنة ، لأن العين محبوبة للإنسان ، فإذا أخذهما الله سبحانه وتعالى منه وصبر الإنسان واحتسب فإن الله يعوضه بهما الجنة .

والجنة تساوي كل الدنيا بل قال النَّبي ﷺ : « **لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها** » أي مقدار متر ، لأن ما في الآخرة باق لا يفنى ولا يزول والدنيا كلها فانية وزائلة ، فلهذا كانت هذه المساحة القليلة من الجنة خيراً من الدنيا وما فيها .

واعلم أن الله سبحانه إذا قبض من الإنسان حاسة من حواسه فإن الغالب أن الله يعوضه في الحواس ما يخفف عليه ألم فقد هذه الحاسة التي فقدها .

فالأعمى يمن عليه بقوة الإحساس والإدراك حتى إن بعض الناس إذا كان أعمى نجده في السوق يمشي ، وكأنه مبصر يحس بالمنعطفات في الأسواق ، ويحس بالمنحدرات والمرتفعات حتى إن بعضهم يتفق مع صاحب السيارة - سيارة أجرة - يركب معه من أقصى البلد إلى بيته وهو يقول لصاحب السيارة : تيامن تياسر حتى يوقفه عند بابه لأن صاحب السيارة لايعرف البيت . والله الموفق [١] .

---

(١) شرح الحديث رقم (٣٤) من « رياض الصالحين » .

## الصبر عند فقد الحبيب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **يقول الله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** » رواه البخاري ( ٦٤٢٤ ) .

### الشرح :

هذا الحديث يرويه الرسول ﷺ عن الله ، ويسمي العلماء -رحمهم الله - هذا القسم من الحديث ، الحديث القدسي لأن الرسول ﷺ رواه عن ربه .

**والصفي :** من يصطفيه الإنسان ويختاره من ولد ، وأخ ، أو عم ، أو أب ، أو أم ، أو صديق ، المهم أن ما يصطفيه الإنسان ويختاره ويرى أنه ذو صلة قوية منه . إذا أخذه الله عز وجل ، ثم احتسبه الإنسان ، فليس له جزاء إلا الجنة .

**ففي هذا :** دليل على فضيلة الصبر على قبض الصفي من الدنيا وأن الله عز وجل يجازي الإنسان إذا احتسب يجازيه الجنة .

**وفيه :** دليل على فضل الله سبحانه وتعالى وكرمه على عباده فإن الملك ملكه والأمر أمره . وأنت وصفيك كلاكما لله عز وجل ومع ذلك إذا قبض الله صفي الإنسان واحتسب فإن له هذا الجزاء العظيم .

**وفي هذا الحديث أيضاً من الفوائد :** الإشارة إلى أفعال الله من قوله « إذا قبضت صفيه » ولاشك أن الله سبحانه وتعالى فعال لما يريد ولكن يجب علينا أن نعلم أن فعل الله كله خير لا ينسب الشر إلى الله أبداً ، والشر إذا وقع فإنه يقع في المفعولات فقط ولايقع في الفعل .

فمثلا إذا قدر الله على الإنسان مايكره فلاشك أن ما يكره الإنسان بالنسبه إليه شر ،لكن الشر في هذا القدر لا في تقدير الله ، لأن الله لايقدره إلا لحكمة عظيمة

إما للمقدر عليه وإما لعامة الخلق . أحيانا تكون الحكمة خاصة في المقدر عليه وأحياناً في الخلق على سبيل العموم .

المقدر عليه إذا قدر الله عليه شراً وصبر واحتسب نال بذلك خيراً ، إذا قدر الله عليه شراً ورجع إلى ربه بسبب هذا الأمر لأن الإنسان إذا كان في نعمة دائماً قد ينسى شكر المنعم عز وجل ولا يلتفت إلى الله فإذا أصيب بالضراء التفت وتذكر ورجع إلى ربه سبحانه وتعالى ويكون في ذلك فائدة عظيمة له .

**أما بالنسبة للآخرين :** فإن هذا المقدر على الشخص إذا ضره قد ينتفع به الآخرون ، ولنضرب لذلك مثلا برجل عنده بيت من الطين فأرسل الله مطراً غزيراً دائماً فإن صاحب هذا البيت يتضرر لكن المصلحة العامة للناس مصلحة ينتفعون بها .

صار هذا شراً على شخص وخيراً للآخرين ومع ذلك فكونه شراً لهذا الشخص أمر نسبي إلا أنه شر من وجه لكنه خير له من وجه آخر .

فيتعظ به ويعلم أن الملجأ هو الله عز وجل لا ملجأ إلا إليه فيستفيد من هذا أكبر مما حصل له من المضرة .

المهم أن المؤلف ذكر هذا الحديث في باب الصبر لأن فيه فائدة عظيمة فيما إذا صبر الإنسان على قبض صفيه أنه ليس له جزاء إلا الجنة ، والله الموفق[1] .



(١) شرح الحديث رقم (٣٢) من « رياض الصالحين » .

## فضل التيسير على المُعسر

وعن أبي مسعود البدري - ﷺ - ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسراً ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال الله - عز وجل - : نحن أحق بذلك منه ،تجاوزوا عنه » رواه مسلم (١٥٦١ )** .

**وعن حذيفة - ﷺ - قال : أتى الله تعالى بعبد من عباده آتاه الله مالاً ، فقال له : ماذا عملت في الدنيا ؟ قال : - ولا يكتمون الله حديثاً - قال : يارب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقي الجواز ، فكنت أتيسر على الموسر ، وأنظر المعُسر . فقال الله تعالى : « أنا أحق به منك ، تجاوزوا عن عبدي » فقال : عقبة بن عامر ، وأبو مسعود الأنصاري ﷺ : هكذا سمعناه من فيِّ رسول الله ﷺ .رواه مسلم (١٥٦٠ ).**

### الشرح :

هذه الأحاديث في فضل السماحة في البيع والشراء ، وفيها فضل العفو عن الناس والتجاوز عنهم ، في الحديث الأول ، عن أبي هريرة ﷺ أن النَّبي ﷺ قال « كان رجل يداين الناس » يعني يتعامل معهم بالدين ، والدين ليس هو المعروف عندنا ، يعني أن نشتري سلعة ، لنبيعها وننتفع بثمنها ، الدين : كل ما ثبت في الذمة فهو دين ، حتى لو بعت إلى شخص سيارة بثمن غير مؤجل ، ولم يسلمك الثمن فالثمن في ذمته دين ، وإن استأجرت بيتاً وتمت المدة ولم تسلمه الأجرة ، فالأجرة في ذمتك دين ، المهم أن المداينة ليس أن يعامل الناس نقداً ، يعني ليس يداً بيد بل يبيع إليهم ويشتري منهم ، ويعفو عن المعسر « فكان يقول لغلامه : إذا رأيت معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله يتجاوز عنا » ، فكان الغلام يفعل هذا ، فلقي الله عز وجل فجازاه بمثل ما يجازي به الناس ، يعني بمثل ما يفعل هذا الرجل في الناس عامله الله عز وجل فتجاوز عنه ، وذلك « **لأن الله في عون العبد ما كان العبد في**

**عون أخيه** »[١] ولأن الجزاء من جنس العمل ، ففي هذا الحديث حديث أبي هريرة والحديثين اللذين بعده دليل على فضيلة إنظار المعسر والتجاوز عنه وإبراءه .

واعلم أن هذا لا ينقصك شيئاً من المال ، لأن النَّبي ﷺ قال : « **ما نقصت صدقة من مال** »[٢] بل هذا يجعل في مسالك البركة والخير والزيادة والنماء .

وأما إنظار المعسر فإنه واجب ، يجب على الإنسان إذا كان صاحبه معسراً لايستطيع الوفاء يجب عليه أن ينظره ولا يحل له أن يكربه أو يطالبه ، لقول الله تعالى : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ** ﴾ [ البقرة : ٢٨٠ ] .

فهناك فرق بين الإبراء وهو إسقاط الدين عن المعسر وبين الإنظار ،الإنظار واجب والإبراء سنة ،ولاشك أن الإبراء أفضل ،لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائياً ، والإنظار تبقى الذمة مشغولة لكن صاحب الحق لايمهله به حتى يستطيع المطلوب أن يوفي .

وبعض الناس – نسأل الله العافية – تحل لهم الديون على أناس فقراء فيؤذونهم ويضربونهم ويطالبونهم ويدفعون بهم إلى ولاة الأمور ويحبسونهم عن أهليهم وأولادهم وأموالهم ، وهذا لا شك أنه منكر والواجب على القضاة إذا علموا أن هذا معسر لايستطيع الوفاء ، أن يقولوا للدائن أمهله حتى يستطيع السداد ، لأن الله تعالى هو الحكم ، وهو الحاكم بين العباد ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ** ﴾ لكن القضاة في هذه المسألة ، يقولون : إن بعض المدينين يتلاعبون بالناس فيأخذون الأموال ويدَّعون الإعسار ، فيعاملونهم بهذا تنكيلاً بهم . نعم إذا ثبت أن هذا المدين يدعي الإعسار وليس بمعسر فإنه لا بأس أن يجبر ويحبس ويضرب حتى يوفي فإن لم يفعل فإن الحاكم يتولى بيع ماشاء من ماله ويوفي دينه ، أما الذي تعلم أنه معسر حقيقة فإنه لايجوز لطالبه أن يطالبه ولا أن يقول : أعطني ، يجب أن يعرض عنه بالكلية ﴿ **فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ** ﴾ والله الموفق[٣] .

---

(١) رواه مسلم ( ٢٦٩٩ ) وأبو داود (٤٩٤٦) والترمذي (١٤٢٥) وابن ماجه (٢٢٥) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨) .

(٣) شرح الأحاديث رقم (١٣٧١ ، ١٣٧٢ ) من « رياض الصالحين » .

## بخس الناس أشياءهم

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النَّبي ﷺ قال : « **قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره** » .( رواه البخاري / ٢٢٢٧ ) .

**الشرح :**

**ففي الحديث :** التنبيه على مسأله يفعلها كثير من الناس اليوم وهي أنهم يستأجرون الأجراء ولايعطون لهم أجراً . هذا الذي يفعل يستأجر الأجير ولايعطيه أجره يكون الله عز وجل خصمه يوم القيامة .كما قال تعالى في الحديث القدسي : { **ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر** } .

**الأول :** عاهد بي ثم غدر .

**والثاني :** { **رجل باع حراً فأكل ثمنه** } . حتى لوكان ابنه أو أخاه الأصغر ثم باعه وأكل ثمنه فخصمه الله يوم القيامة .

**والثالث :** { **هذا الرجل الذي استأجر أجيراً فاستوفى منه وقام الأجير بالعمل كاملاً ثم لم يعطه أجرته** } . ومن ذلك مايفعله بعض الناس اليوم في العمال الذين يأتون بهم من الخارج . تجده يستأجره بأجرة معينة مثل ستمائة ريال في الشهر . ثم إذا جاء به إلى هنا ماطل به وآذاه ولم يعطه حقه وربما يقول له : تريد أن تبقى هنا بأربعمائة ريال وإلا سافرت . هذا والعياذ بالله يكون الله خصمه يوم القيامة . ويأخذ من حسناته ويعطيها هذا العامل . لأن قوله : إما أن تعمل بأربعمائة وإلا سفرتك . هذا استأجر بستمائة ولم يعطه أجره . فيدخل في هذا الوعيد الشديد .

وهؤلاء الذين يأتون بالعمال ولا يعطونهم أجورهم أو يأتون بهم وليس عندهم شغل . ولكن يتركونهم في الأسواق . ويقول : اذهب وما حصلته فلي نصفه . أو

مثلا يقـول اذهب وعليك في الشهر ثلاثمائة ريال أو أربعـمائة ريال . كل هذا حرام والعياذ بالله .

ولا يحل لهم وما أكلوه فإنه سحت، وكل جسد نبت من السحت فالنار أولى به. وهؤلاء الذين يأكلون أموال هـؤلاء العمال المسـاكين هؤلاء لاتقبل لهم دعوة والعـياذ بالله . يدعون الله فـلا يستجـيب لهم . لأن النَّبي ﷺ [ **ذكر الرجل يطيل السـفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي من حرام فأنى يسـتجاب له** ] البخاري (٥٢) مـسلم (١٥٩٩) . وما يأكل كل هؤلاء من أجور هؤلاء العمال أو يظلمـونهم به فإنهم يأكـلون سحتا . نسأل الله العافية .

فعلى الإنسان أن يتقي الله . أنا أعلم أنكـم سوف تبلغون هذا إلى هؤلاء الظلمة والعياذ بالله . الذين عاقبهم الله بعقوبة عاجلة والعياذ بالله . ماهي العقوبة العاجلة ؟ استمرار هذا العمل والاستمرار فـيه والإصرار عليه . فإن الإصرار على الذنب عقوبة والعياذ بالله إذا لم يمن الله على الإنسان بالتـوبة من الذنب فاعلم أن استمراره في هذا الذنب عقـوبة من الله له . لأنه لايزداد بهذا الذنب من الله إلا بُعداً ولا تزداد سيـئاته إلا كثرة ،ولا يزداد إيمانه إلا نقصاً . فنسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق [١] .



(١) شرح الحديث رقم (١٥٨٧) من « رياض الصالحين » .

## فضل السلام

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النَّبي ﷺ قال : « **لما خلق الله آدم ﷺ قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع مايحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم ، فقالوا السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله** » . رواه البخاري / (٣٣٢٦) مسلم (٢٨٤١) .

### الشرح :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن الله لما خلق آدم قال له : اذهب إلى هؤلاء النفر من الملائكة - وهم جلوس - فسلم عليهم ، وانظر ماذا يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فذهب آدم - امتثالاً لأمر الله - فسلم على الملائكة الجلوس : السلام عليكم . قالوا : السلام عليكم ورحمة الله . فزادوا : ورحمة الله .

**ففي هذا الحديث دليل على :**

﴿١﴾ أن هذه الخليقة البشرية كانت من العدم ، وأنها لم تكن شيئاً مذكوراً من قبل كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا** ﴾ [ الإنسان : ١ ] .

فهذه البشرية لم تكن شيئاً مذكوراً من قبل، فخلقها الله وأوجدها لحكمة عظيمة، ولهذا لما قالت الملائكة لله عز وجل حين أخبرها أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ .

[ البقرة : ٣٠ ] .

خلق الله هذه البشرية وجعل منها الأنبياء والرسل والصديقين والصالحين والشهداء .

﴿ ٢ ﴾ أن الملائكة أجسام وليست أرواحاً بلا أجسام ، لأنهم جلوس ، والجالس يعني أنه جسم ، وقد رأى النَّبي ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح قد سد الأفق ، والله سبحانه وتعالى قال ﴿ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ ﴾ [ فاطر : ١ ] .

فالملائكة أجسام ولكن الله عز وجل حجبهم عنا ، جعلهم عالماً غيبياً ، كما أن الجن أجسام ولكن الله عز وجل حجبهم عنا فجعلهم عالماً غيبياً ، وقد تظهر الملائكة في صورة إنسان كما جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ مرة بصورة « دحية الكلبي » ، ومرة بصورة رجل غريب لايرى عليه أثر السفر ولا يعرفه الصحابة ، وعليه ثياب بيض ، شعره أسود وجلس إلى النَّبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها .

**ومن فوائد هذا الحديث :**

﴿ ٣ ﴾ أن السُّنَّة في السلام ( السلام عليك ) - إذا كان المسلم عليه واحداً ، وإذا كانوا جماعة تقول : ( السلام عليكم ) ، لأن الواحد يخاطب بخطاب الواحد ، والجماعة تخاطب بخطاب الجماعة .

﴿ ٤ ﴾ أن السلام متلقن من الملائكة بأمر الله ، حيث قال سبحانه وتعالى : « **إنها تحيتك وتحية ذريتك** » . لكن في قولهم في الرد : ( السلام عليكم ورحمة الله ) إشكال ، وهو المعروف أن في الرد أن يقدم الخبر فيقال : عليكم السلام .

والرد على ذلك نقول : إما أن هم يعلمونه التحية الابتدائية ، أو أن الشريعة وردت بخلاف ذلك - أي بتقديم الخبر -

﴿ ٥ ﴾ أن الأفضل في رد السلام أن يزيد الإنسان « ورحمة الله » لأن الملائكة زادوا والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا ﴾ [ النساء : ٨٦ ] فبدأ بالأحسن ﴿ أَوْ رُدُّوهَا ﴾ إذا لم تردوا الأحسن [١] .

---

(١) شرح الحديث رقم (٨٤٦) من «رياض الصالحين» .

## فضل عيادة المرضى

عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : « **يا ابن آدم مرضت فم تعدني ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده ، يا أبن آدم استطعمتك فلم تطعمني ، قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، يا أبن آدم استسقيتك فلم تسقني ، قال : يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لوسقيته لوجدت ذلك عندي** » . رواه مسلم (٢٥٦٩ ) .

### الشرح :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النَّبي ﷺ قال : يقول الله تعالى يوم القيامة : « **يا ابن آدم مرضت فلم تعدني** » قال : كيف أعودك وأنت رب العالمين ، يعني : وأنت لست بحاجة إليَّ حتى أعودك . قال : « **أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما إنك لوعدته لوجدتني عنده** » .

هذا الحديث ليس فيه إشكال في قوله تعالى : « **مرضت فلم تعدني** » ، لأن الله تعالى يستحيل عليه المرض ، لأن المرض صفة نقص ، والله سبحانه وتعالى منزه عنه كل نقص قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [ الصافات : ١٨٠ ] . لكن المراد بالمرض مرض عبد من عباده الصالحين ، وأولياء الله سبحانه وتعالى هم خاصته ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح القدسي أيضاً « **من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب** » . رواه البخاري (٦٥٠٢ ) .

يعني من يعادي أولياء الله محارب لله عز وجل مع أنه - وإن كان لم يعاد الله

على زعمه - لكنه عادى أولياءه وحاربهم ، كذلك إذا مرض عبد من عباد الله الصالحين فإن الله سبحانه وتعالى يكون عنده ، ولهذا قال : « **أما إنك لوعدته لوجدتني عنده** » ولم يقل : لوجدت ذلك عندي كما قال في الطعام والشراب بل قال : « **لوجدتني عنده** » وهذا يدل على قرب المريض من الله عز وجل . ولهذا قال العلماء : إن المريض حريٌّ بإجابة الدعاء إذا دعا لشخص أو دعا على شخص ، وفي هذا دليل على استحباب عيادة المريض ، وأن الله سبحانه وتعالى عند المريض وعند من عاده ، لقوله : « **لوجدتني عنده** » وقد سبق لنا كيف تكون عيادة المريض وما ينبغي أن يقوله له العائد .

« **يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمني** » يعني طلبت منك طعاماً فلم تطعمني ، ومعلوم أن الله تعالى لايطلب الطعام لنفسه لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ** ﴾ « الأنعام: ١٤ » ، فهو غني عن كل شيء ولا يحتاج لطعام ولا شراب، لكن جاع عبد من عباد الله فعلم به شخص فلم يطعمه ، قال الله تعالى : « **أما انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي** » يعني لوجدت ثوابه عندي مدخراً لك ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة .وفي هذا دليل على استحباب إطعام الجائع ، وأن الإنسان إذا أطعم الجائع وجد ذلك عند الله .

« يابني آدم استسقيتك - أي طلبت منك أن تسقيني - فلم تسقني » قال : كيف أسقيك وأنت رب العالمين !

يعني لست في حاجة إلى طعام ولاشراب قال : « **أما علمت أن عبدي فلان ظَمِىء أو استسقاك فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي** » ففيه أيضاً دليل على فضيلة إسقاء من طلب منك السقيا ، وأنك تجد ذلك عند الله مدخراً ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة [١] .

---

(١) شرح الحديث رقم (٨٩٦) من «رياض الصالحين» .

## تحريم الكبر

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : { « **قال الله عز وجل : العز إزاري والكبرياء ردائي . فمن ينازعني في واحد منهما عذبته** » } . رواه مسلم (١٠٧) .

## الشرح :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال : { **العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني عذبته** »، هذا من الأحاديث القدسية التي يرويها النَّبي ﷺ عن الله . وهي ليست في مرتبة القرآن . فالقرآن له أحكام تخصه . منها أنه معجز للبشر عن أن يأتوا بمثله . أو بعشر سور منه . أو بسورة أو بحديث مثله .

تصح صلاة المصلي بالقراءة من القرآن . . بل تجب القراءة بالفاتحة . أما الأحاديث القدسية فليست كذلك .

ثم القرآن محفوظ لايزاد فيه ولا ينقص ، ولا يروى بالمعنى وليس فيه شيء ضعيف . أما الأحاديث القدسية فإنها تروى بالمعنى وفيها أحاديث ضعيفة . وفيها أحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ وليست بصحيحة وهو كثير . فالمهم أنها ليست في منزلة القرآن إلا أنه يقال إن النَّبي ﷺ يرويه عن ربه .

فالله تعالى يقول : « **العز إزاري والكبرياء ردائي** » . وهذا من الأحاديث التي تمر كما جاءت عن النَّبي ﷺ ولا يتعرض لمعناها بتحريف أو تكييف [1]. وإنما يقال هكذا قال الله تعالى فيما رواه النَّبي ﷺ عنه. فمن نازع الله في عزته وأراد أن يتخذ سلطاناً كسلطان الله أو نازع الله في كبريائه وتكبر على عباد الله فإن الله يعذبه . يعذبه على ماصنع ونازع الله تعالى فيما يختص به [2] .

---

(١) بل المقصود اختصاص الله عز وجل وحده بذلك كما يختص المرء بثوبه وإزاره ؛ بحيث إذا لبسهما فلا يُتصور أن يشاركه أحد في لبسهما . ممدوح المنشاروي .

(٢) شرح الحديث رقم (٦١٨) من «رياض الصالحين» .

## تحريم الظلم

عن أبي ذر الغفاري ﷺ عن النَّبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : **« ياعبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، ياعبادي ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمون أطعمكم . ياعبادي ، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، ياعبادي إنكم تخطئون باليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، ياعبادي ، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . ياعبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً ، ياعبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ، مانقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . ياعبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »** .

رواه مسلم (٢٥٧٧) وعن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - قال : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث .

### الشرح :

قال المؤلف - رحمه الله تعالى- فيما نقله عن أبي ذر الغفاري في باب المجاهدة، عن النَّبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى ، يعني أن الرسول ﷺ حدَّث عن الله أنه قال . . . . إلى آخره ، وهذا يسمى عند أهل العلم بالحديث القدسي أو الحديث الإلهي ، أما ماكان من حديث النَّبي ﷺ ،فإنه يسمى بالحديث النبوي .

وهذا الحديث القدسي يقول الله تعالى فيه : **« ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا »**، يقول جل وعلا : **« إني حرمت الظلم**

**على نفسي** » ، أي لا أظلم أحداً لا بزيادة سيئات لم يعملها ولا بنقص حسنات عملها ، بل هو سبحانه وتعالى حكم عدل محسن ، فحكمه وثوابه بعباده دائر بين أمرين ، بين فضل وعدل ، فضل لمن عمل الحسنات ، وعدل لمن عمل السيئات ، وليس هناك شيء ثالث وهو الظلم .

أما الحسنات فإنه سبحانه وتعالى يجازي الحسنة بعشر أمثالها ، من يعمل حسنة يثاب بعشر حسنات ، أما السيئة فبسيئة واحدة فقط ، قال الله تعالى في صورة الأنعام – وهي مكية : ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [ الأنعام : ١٦٠ ] لا يظلمون بنقص ثواب الحسنات ، ولا يظلمون بزيادة جزاء السيئات ، بل ربنا عز وجل يقول : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا** ﴾ [ طه : ١١٢ ] ، ظلما بزيادة في سيئاته ، ولا هضما بنقص في حسناته . وفي قوله تعالى : « **إني حرمت الظلم على نفسي** » دليل على أنه جل وعلا يحرم على نفسه ، ويوجب على نفسه ، كما أوجب على نفسه الرحمة ، قال الله تعالى : ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ [ الأنعام : ٥٤ ] ، ومما حرم على نفسه الظلم ، وذلك لأنه فعال لما يريد ، ويحكم بما يشاء فكما أنه يوجب على عباده ويحرم عليها ، يوجب على نفسه ويحرم عليها ، جلا وعلا ، لأن له الحكم التام المطلق .

وقوله تعالى : « **وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** » أي لايظلم بعضكم بعضا ، والجعل هنا هو الجعل الشرعي ، وذلك لأن الجعل الذي أضافه الله إلى نفسه إما أن يكون كونياً كقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا** ﴾ [ النبأ : ١٠ – ١١ ] ، وإما أن يكون شرعيا مثل قوله : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ** ﴾ [ المائدة : ١٠٣ ] ، ماجعل أي : ماشرع ، وإلا فقد جعل ذلك كونياً ، لأن العرب كانوا يفعلون هذا ، ومثل هذا الحديث « جعلته بينكم محرما » أي جعلته بينكم جعلا شرعيا لا كونيا ، لأن الظلم يقع .

**وقوله :** « **جعلته بينكم محرما** » الظلم بالنسبة للعباد فيما بينهم يكون في ثلاثة أشيـاء بينها رسـول الله ﷺ في قوله : وهو يخطب الناس في خـطبة الوداع « **إن دماءكم وأمـوالكم وأعراضكم عليكم حرام كـحرمة يومكم هذا في شـهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ قـالوا : نعم ، قـال : اللهم فـاشهـد** » ( مسلم وأبو داود والنسائي ) . فهذه ثلاثة أشياء : الدماء - والأموال - والأعراض .

فالظلم فيما بين البشر حرام في الدماء، فلا يجوز لأحد أن يعتدي على دم أحد ، لا على دم تفـوت به النفس وهو القتل ، ولا دم يحـصل به النقص ، كـدم الجروح وكسر العظام وما أشبهها كل هذا حرام ولايجوز . وأعلم أن كسر عظم الميت ككسره حيا ، كما جاء ذلك عن النَّبي ﷺ ، فالميت مـحترم لايجوز أن يؤخذ من أعضائه شيء ، ولا أن يكسر من أعضائه شيء ، لأنه أمانة وسـوف يبعث بكماله يوم القيامة . وإذا كان كذلك فلا يجوز أن تأخذ منه شيئـاً . ولهذا نص فقهاء الحنابلة . رحمهم الله - على أنه لايجـوز أن يؤخـذ من الميت شيء من أعـضـائه ، ولو أوصى به ، وذلك لأن الميت محتـرم ، فإذا أخذنا من الميت عضواً وكسـرنا منه عظما كان ذلك جناية عليه ، وكان اعتداءً عليه ، وكنا آثمين بذلك .

والميت نفسه لايسـتطيع أن يتبرع بشيء من أعضائه ، لأن أعـضاءه أمانة عنده ، أمانة لايحل له أن يفرط فيـها ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ ، وفسرها عمرو بن العاص رضي الله عنه بالإنسان إذا كان عليه جنابة وكان الجو بارداً وخاف إذا اغتـسل أن يتضرر . جعل عـمرو بن العاص هذا داخـلا في الآية ، وذلك حين كان عمرو بن العاص رضي الله عنه في سرية، وأجنب وكانت الليلة باردة فتيمم وصلى بأصحابه ، فلما رجـعوا إلى رسول الله ﷺ وبلغه الخبـر ، قال لعمرو : أصليت بـأصحابك وأنت جنب ؟

**يعني :** لم تغتسل، قال: يارسول الله إني ذكرت قول الله : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [ النساء : ٢٩ ] ، وخفـت البـرد فتيممـت ، فضحك

النَّبي ﷺ ( سبق تـخريجه ) وأقـره على فعله وعلى استـدلاله بالآية ، لم يقل أن الآية لم تدل على هذا . فإذاً كل شيء يضـر أبداننا أو يفوت منها شيـئاً فإنه لايحل لنا أن نفعله ، لقـوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ فمـا حرم علينا أن نتناول الدخان وغيره من الأشياء الضارة ، إلا من أجل حمـاية البدن ، فالبدن محرم فقول النَّبي ﷺ : « دمـاؤكم » يشمل الدم الذي يـهلك به الإنسان وهو القـتل ، والدم بدون ذلك ، وهو الجرح أو كسر العظام أو ما أشبه ذلك .

أما قوله تعالى : « وأمـوالكم » فإن الأموال قد حرمها الله سـبحانه وتعالى على بعضنا أن يأخذ من أمـوال أخيه بغير حق بأي نوع من الأنواع ، سواء أخـذه غصبًا بأن يأخذه بالقـوة ، أو أخذه سرقة، أو اختـطافا ، أو خيانة ، أو غـشا ، أو كذباً ، فأي نوع من هذه الأنواع فإنه حرام عليه .

وعلى هذا فـالذين يبيـعون الناس بالغش فـإن كل مال يدخل عليـهم زيادة في الثمن بسبب الغش فإنه حرام .

### فالذين يغشون في البيع أو في الشراء يرتكبون محظورين :

**المحظور الأول :** العدوان على إخوانهم المسلمين بأخذ أموالهم بغير حق .

**المحظور الثاني :** أنهم ينالون تبرأ النَّبي ﷺ منهم ، وبئس البضاعة ، بضاعة يلتحق فيها صاحبها بالبراءة من رسول الله ﷺ ،قال النَّبي ﷺ فيما صح عنه : « **من غشنا فليس منا** » ( صحيح مسلم ١٢٣٦ ) .

ومن ذلك مايفعلـه بعض الجيران حيث تجده يدخل المراسـيم على جاره من أجل أن تزيد أرضه ، وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنه قال :« **أن من اقتطع شبراً من الأرض بغـير الحق، فـإنه يطوقه يـوم القيـامة من سـبع أرضين** » ( متـفق عليه) ، يكون يوم القيـامة في عنقـه طوق من سبع أرضين ، والعيـاذ بالله ، يحمله في يوم المحـشر ، وهذا من الظلم .

ومن الظلم أيضاً أن يكون لشخص على شخص آخر دراهم ثم ينكر الذي عليه الحق ، ويقول : ليس لك عندي شيء ، فهذا من أكل المال بالباطل ، حتى لو فرض أنه تحاكم الى القاضي مع خصمه ، وغلبه عند القاضي ، فإنه لا يغلبه عند الله ، قال النَّبي ﷺ : « **إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له ، وإنما أقضي بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فانما أقتطع له جمرة من نار فليستقل أو ليستكثر** » ( متفق عليه ) فلا تظن أنك إن غلبت خصمك عند القاضي وكنت مبطلا تسلم بهذا في الآخرة ، أبداً لأن القاضي إنما يقضي بنحو ما يسمع ولايعلم الغيب ، ولكن علام الغيوب جل وعلا هو الذي يحاسبك يوم القيامة .

وكذلك أيضا من أكل الأموال يدعي شخص على آخر ما ليس له ، ويقيم على ذلك البينة بالشهادة الزور ويحكم له بذلك ، فإن هذا من أكل المال بالباطل ، والأمثلة على ذلك كثيرة ولكنها تكون كلها محرمة إن لم تكن بحق ، ولهذا قال عز وجل : « فلا تظالموا » أما الأعراض فهي أيضاً حرام ، فلايحل للإنسان أن يقع في عرض أخيه ، فيغتابه في المجالس أو يسبه ، فإن ذلك من كبائر الذنوب ، قال الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [ الحجرات : ١٢ ) انظر الترتيب اجتنبوا كثيراً من الظن ، فإذا ظن الإنسان شيئاً بأخيه تجسس عليه ، ولهذا قال : ولاتجسسوا، فإذا تجسس صار يغتابه ، ولهذا قال في الثالثة قال تعالى : ﴿ وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ .

**الجواب :**

لا ، لا يحب بل يكره ، ولهذا قال : ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ قال بعض المفسرين : إذا كان يوم القيامة فإنه يؤتى بالرجل الذي اغتابه الشخص يمثل له بصورة إنسان ميت ، ثم يقال له : كل من لحمه ، ويكره على ذلك ، وهو يكرهه ، ولكن يكره

على ذلك عقوبة له والعياذ بالله .

**فالغيبة هي :** انتهاك عرض أخيك - محرمة ، وقد روى أبو داود أن النبي مر ليلة عُرج به على قوم لهم أظافر من نحاس ، يخمشون بها وجوههم وصدورهم، يعني يجرحون الوجوه والصدور بهذه الأظافر التي من نحاس ، فقال : يا جبريل : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون في أعراضهم ، والعياذ بالله .

ثم إن الإنسان إذا انتهك عرض أخيه فإن أخاه يأخذ في الآخرة من حسناته ، ولهذا يذكر أن بعض السلف قيل له إن فلان يغتابك ، فقال : مؤكد ، قال نعم اغتابك ، فصنع هدية له ثم بعث بها إليه ، فاستغرب الرجل كيف يغتابه ثم يرسل له هدية ، قال : نعم ، إنك أهديت إليَّ حسنات والحسنات تبقى، وأنا أهديت إليك هدية تذهب في الدنيا ، فهذه مكافأة على هديتك لي ، انظر فقه السلف رضي الله عنهم .

فالحاصل أن الغيبة حرام ومن كبائر الذنوب ، ولاسيما إذا كانت الغيبة في ولاة الأمور، من الأمراء أو العلماء ، فإن غيبة هؤلاء ، أشد من غيبة سائر الناس ، لأن غيبة العلماء تقلل من شأن العلم الذي في صدورهم ، والذي يعلمونه للناس ، فلا يقبل الناس العلم الذي يعطونه وهذا ضرر على الدين . وغيبة الأمراء تقلل من هيبة الناس لهم فيتمردون عليهم ، وإذا تمرد الناس على الأمراء ، فلا تسأل عن الفوضى.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ثم قال الله تعالى : « **ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم** » ضال يعني تائها . أي لايعرف الحق ، وضال يعني غاويا أي لايقبل الحق .

### فالناس في الضلال قسمان :

**قسم تائه :** لايعرف الحق مثل النصارى فإن النصارى ضالون تائهون لايعرفون الحق إلا بعد أن بعث النَّبي ﷺ ، فإنهم عرفوا الحق لكنهم استكبروا ، فلم يكن

بينهم وبين اليهود فرق في أنهم علموا الحق ولم يتبعوه .

**وقسم غاوٍ** : أي اختار الغي على الرشد بعد أن علم بالرشد وهؤلاء مثل اليهود فإن اليهود عرفوا الحق ولكنهم لم يقبلوه بل يردوه .

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾ [ فصلت : ١٧ ] هداهم الله وبين لهم ودلهم لكنهم استحبوا العمى على الهدى ،واستحبوا الغي على الرشد ، فالناس كلهم ضالون إلا من هداه الله .

لكن ما هي هداية القسم الأول وهو الضال الذي لم يعرف الحق ؟ هداية القسم الأول أن يبين الله لهم الحق ويدلهم عليه ، وهذه الهداية حق على الله ، حق على الله أوجبه الله على نفسه فكل الخلق قد هداهم الله بهذا المعنى . تعني بمعنى البيان .

قال الله تعالي : ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ** ﴾ [ الليل : ١٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ** ﴾ [ البقرة : ١٨٥ ] هدى للناس عموما .

ولكن الهداية الثانية وهي هداية التوفيق لقبول الحق هذه هي التي يختص الله بها من يشاء من عباده ، فالهداية هدايتان ،هداية بيان الحق ، وهذه عامة لكل أحد ، وقد أوجبها الله تعالى على نفسه ، وبين لعباده الحق من الباطل ، وهداية توفيق لقبول الحق والعمل به ، تصديقاً للخبر وقياماً بالطلب ، وهذه خاصة يختص الله بها من يشاء من عباده .

### والناس في هذا الباب ينقسمون إلى أقسام :

**القسم الأول :** من هدي الهدايتين ، أي علمه الله ووفقه للحق وقبوله .

**القسم الثاني :** وهذا شر الأقسام والعياذ بالله .

والمهم أن الله عز وجل يقول : « **كلكم ضال** » أي : كلكم لايعرف الحق ، أو كلكم لايقبل الحق ، إلا من هديته « **فاستهدوني أهدكم** » يعني اطلبوا الهداية مني ،

فإذا طلبتموها فإنني أجيبكم وأهديكم إلى الحق . ولهذا جاء الجواب في « **استهدوني أهدكم** » وكأنه جواب شرط يتحقق المشروط عند وجوب الشرط ، دليل هذا أن الفعل جزم ، « **استهدوني أهدكم** » فمتى طلبت الهداية من الله بصدق وافتقار إليه وإلحاح، فإن الله يهديك .

ولكن أكثرنا معرض عن هذا ، فأكثرنا قائم بالعبادة ، ولكن على العادة وعلى مايفعل الناس ، لا كأننا مفتقرون إلى الله سبحانه وتعالى ، وفي طلب الهداية ، فالذي يليق بنا أن نسأل الله دائماً الهداية ، والإنسان في كل صلاة يقول رب اغفر لي وارحمني واهدني ، بل إنه في الصلاة يقول على سبيل الركنية : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾ .

لكن أين القلوب الداعية ؟! ، إن أكثر المصلين يقرأ هذه الآية وتمر عليه مر الطيف ، أي مر الغيم الذي يجري وبدون شيء ، ما ينبه لها .

والذي يليق بنا أن ننتبه وأن نعلم أننا مفتقرون إلى الله عز وجل في الهداية ، سواء الهداية العلمية أو الهداية العملية أي هداية الإرشاد والدلالة أو هداية التوفيق ، فلابد أن نسأل الله دائما الهداية .

« **فاستهدوني أهدكم** » وإنما تشمل هذه الهداية الطريق الحسي كما تشمل الطريق المعنوي ، فالهداية في الطريق المعنوي هي الهداية إلى دين الله ، والهداية للطريق الحسي ، كأن تكون في أرض قد ضللت الطريق وضعت ، فإنك تسأل الله الهداية ، ولهذا قال الله عن موسى عليه السلام : ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴾ [ القصص : ٢٢ ] ، أي السبيل المستوى الموصل للمقصود بدون تعب وقد جرب هذا ، فإن الإنسان إذا ضاع في البر فإنه يلجأ إلى الله تعالى بقول : رب اهدني سواء السبيل ، أو عسى ربي أن يهدني سواء السبيل ، وذلك لأننا محتاجون إلى الله في الهداية إلى الطريق المعنوي . ثم قال ﷺ فيما يرويه عن ربه : « **يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي**

**كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم** » هاتان الجملتان الخاصتان بالجوع والعري ذكرهما الله عز وجل بعد أن ذكر الهداية فهي غذاء للقلب في العلم والإيمان ، والجوارح بالعمل الصالح .

أما الطعام والشراب والكسوة فهن غذاء البدن ، لأن البدن لايستقيم إلا بالطعام ولا يستتر إلا بالكسوة ، ولهذا قال : « ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم » .

وصدق ربنا عز وجل ؟ كلنا جائع إلا من أطعمه الله ، ولولا أن الله تعالى يسر لنا مايكون به طعامنا لهلكنا ، يقول الله تعالي مبيناً ذلك في سورة الواقعة : ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ** ﴾ [ الواقعة : ٦٣ - ٦٤ ]

**والجواب :**

بل أنت ياربنا الذي زرعته ، لأن الله يقول : ﴿ **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ** ﴾ [ الواقعة : ٦٥ - ٦٧ ] ، وتأمل كيف قال تعالى : ﴿ **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا** ﴾ ولم يقل لونشاء ما أنبتناه ، لأنه إذا نبت وشاهده الناس تعلقت قلوبهم به ، فإذا جعل حطاماً بعد أن تعلقت به القلوب صار ذلك أشد نكاية ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا** ﴾ ولم يقل لو نشاء ما أنبتناه .

﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ** ﴾ [ الواقعة : ٦٨ - ٦٩ ] ، يعني من السحاب ، ﴿ **أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ** ﴾ لأن الماء الذي نشرب من السحاب ، ينزله الله عز جل للناس في كل وقت بحسبه ، وهذا من حكمة الله عز وجل أن استودع الماء في بطن الأرض ، ولو بقي على ظهر الأرض لفسد ، وأفسد الهواء وأهلك المواشي ، بل وأهلك الآدميين من رائحته ونتنه، ولكن الله عز وجل بحكمته ورحمته جعل هذه الأرض تشربه ، وتسلكه ينابيع فيها ، حتى تأتي حاجة الناس إليه فيحفرونه فيصلون إليه .

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ والله هو الذي أنزله عز وجل ، ولو اجتمع الناس كلهم على أن ينزلوا قطرة من السماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ولكن الله عز وجل هو الذي ينزله بقدرته ورحمته ، وإذاً نحن لا نطعم شيئاً من طعام أو من مأكول ولا من مشروب إلا بالله عز وجل ، ولهذا قال : « كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم » . واستطعام الله عز وجل يكون بالقول وبالفعل ، فالقول بأن نسأل الله عز وجل أن يطعمنا وأن يرزقنا .

## وأما بالفعل فله جهتان :

**الجهة الأولى :** العمل الصالح ، فإن العمل الصالح سبب كثرة الأرزاق وسعتها قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [ الأعراف : ٩٦ ] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ [ المائدة : ٦٥ - ٦٦ ] .

﴿ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ أي : من ثمار الأشجار ، ﴿ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ أي : من الزروع فالمهم أن هذا من أسباب إطعام الله .

**الجهة الثانية :** من جهة الاستطعام بالفعل أن نحرث الأرض ، ونحفر الآبار ونستخرج المياه ، ونزرع الحبوب ، ونغرس الأشجار ، وما أشبه ذلك .

فالاستطعام إذاً يكون بالقول ويكون بالفعل ،والفعل له جهتان، الجهة الأولي: العمل الصالح ، الجهة الثانية : الأسباب المادية الحسية كالحرث وحفر الآبار وما أشبه ذلك .

وأما قوله جل ذكره « **فاستطعموني أطعمكم** » هذا جواب شرط مقدر أو جواب الأمر الذي كان في الشرط ، يعني أنك إذا استطعمت الله فإن الله يطعمك ، ولكن

استطعام الله عز وجل يحتاج إلى أمـر مهم وهو حسن الظن بالله جلا وعلا ، أي أن تحسن الظن بربك لأنك إذا استطعمته أطعمك ، أمـا أن تدعو الله وأنت غافل لاه ، أو أن تفعل الأفعـال وأنت معتمـد على قوتك لا على ربك فإنك قد تـكون مخزولاً والعياذ بالله ، ولكن استطعم الله وأخلص له وحده في ذلك « ياعبادي كلكم عار إلا من كسـوته فاستـكسوني أكسكم » كلكم عـار إلا من كسـوته ، وذلك لأن الإنسان يخرج من بطن أمـه ليس عليه ثياب بل يخرج مـجرداً لا ثياب ، ولاشعـر يكسوه ، كما يكون في الحيوان ، وهذا من حكمة الله عز وجل .

فمن حكمته تعالى أن جعلنا نخرج ظاهرة أبشارنا ، عارية جلودنا ، حتى نعرف أننا محتاجـون إلى كسـوة تستر عوراتنا حـسا ، كما أننا محتاجـون إلى عمل صالح يستر عوراتـنا معنى ، لأن التـقـوى لباس كـما قال تـعالى : ﴿ **وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** ﴾[ الأعراف : ٢٦ ] .

فأنت انظر في نفـسك تجد أنك محتـاج إلى الكسوة الحسية لأنـك عار ، كذلك أيضاً محـتاج إلى الكسوة المعنوية – وهى العمل الصالح – حـتى لاتكون عاريا ولهذا ذكر بعض المعـبرين للرؤيا أن الإنسـان إذا رأى في المنام عاريا فـإنه يحتاج إلى كـثرة الاستغفار ، لأن هذا دليل على نقصان تقواه ، فإن التقوى لباس .

وعلى كل حال فنحن عراة إلا بكسوة الله عز وجل وقد سخر الله لنا من الكسوة ما نكسو به أبداننا ولله الحمد ، من أصناف اللباس المتنوعة ، لاسيما في البلاد الغنية التي ابتلاها الله عز وجل بالمال ، فـإن المال في الحقيقة فـتنة يخشى على الأمة منه ، كما قال مـحمد ﷺ : « **والله ما الفقر أخـشى عليكم ، وإنما أخشى عليكم أن تفتح الدنيا فتنافسـوها كما تنافسها من قبلكم فتـهلككم كما أهلكتهم** » ( متفق عليه ) . فالمال ابتلاء يحتاج إلى صبر على أداء مايجب فيه ، وإلى شكر على مايجب له .

وعلى كل حال أقول إن الله سبحانه وتعالى من علينا باللباس ولولا أن الله يسره لنا ماتيسر ، ولو أنك نظرت في الخلق في وقتك الآن وتأملت لوجدنا كما سمعنا من

يبيتون عراة ، ليس على أبدانهم ما يسترهم ، ربما يسترون السوءة بالأشجار ونحوها، وليس عليهم مايسترهم دون ذلك ، فمن الذي سترك ومنَّ عليك ، هو الله ، ولهذا قال عز وجل : « **ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم** » .

**ونقول في قوله :** « **فاستكسوني أكسكم** » كما قلنا في قوله « استطعموني أطعمكم » يعني أن الاستكساء يكون بالقول ويكون بالفعل ، أما الذي بالقول بأن تسأل الله عز وجل أن يكسوك ، وإذا سألت الله أن يكسو بدنك حسا ، فاسأل الله أن يكسو عورتك المعنوية بالتوفيق إلى طاعته .

## وأما الاستكساء بالفعل فعلى وجهين:

**الوجه الأول :** بالأعمال الصالحة .

**الوجه الثاني :** بفعل الأسباب الحسية التي تكون بها الكسوة ، من إحداث المعامل ، والمصانع ، وغير ذلك .

وفي الربط بين الطعام والكسوة والهداية مناسبة ، لأن الطعام في الحقيقة كسوة البدن باطنا ، لأن الجوع والعطش معناه خلو المعدة من الطعام والشراب ، وهذا تعري لها ، والكسوة ستر البدن ظاهرا ، والهداية الستر المهم المقصود وهو ستر القلوب والنفوس عن عيوب الذنوب .

ثم قال تعالى : « **يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم** » هذا من تمام نعمة الله على العبد ، أنه جل وعلا يعرض عليه أن يستغفر إلى الله ويتوب إليه مع أنه يقول : « **إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً** » أي جميع الذنوب من الشرك والكفر والكبائر والصغائر ، كلها يغفرها الله ، ولكن بعد أن يستغفر الإنسان ربه ، ولهذا قال : « فاستغفروني أغفر لكم » أي اطلبوا مني المغفرة حتى أغفر لكم .

ولكن طلب المغفرة ليس أن يقول الإنسان : اللهم اغفر لي ، بل لابد من توبة

صادقة يتوب بها الإنسان إلى الله عز وجل .

**والتوبة الصادقة هي التي تجمع خمس شروط :**

**الشرط الأول :** أن يكون الإنسان مخلصاً فيها لله عز وجل لايحمله على التوبة مراءاة الناس ، ولا تسميعهم ، ولا أن يتقرب إليهم بشيء وإنما يقصد بالتوبة الرجوع إلى الله حقيقة ، والإخلاص شرط في كل عمل ، ومن جملة الأعمال الصالحة التوبة إلى الله عز وجل ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [ النور : ٣١ ] .

**والشرط الثاني :** أن يندم الإنسان على ما وقع منه من الذنب ، يعني أن يحزن ويتأسف ويعرف أنه ارتكب خطأ حتى يندم عليه ، أما أن يكون إرتكاب الخطأ وعدمه عنده على حد سواء ، فهذه ليست بتوبة ، بل لابد أن يندم بقلبه ندماً يتمنى أنه لم يقع منه هذا الذنب .

**والشرط الثالث :** أن يقلع عن الذنب ، فلا توبة مع الإصرار على الذنوب ، كما قال تعالى ﴿ **وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [ آل عمران : ١٣٤ ] أما أن يقول أنه تائب عن الذنب وهو مصر عليه ، فانه كاذب مستهزىء بالله عز وجل ، فمثلاً لو قال أتوب إلى الله من الغيبة ، ولكنه كلما جلس مجلساً اغتاب عباد الله فإنه كاذب في توبته ، ولو قال أتوب إلى الله من الربا لكنه مصر عليه ، يبيع بالربا ويشتري بالربا فهو كاذب في توبته ، ولو قال أتوب إلى الله من استماع الأغاني ولكنه مصر على ذلك فهو كاذب في توبته ، ولو قال أتوب إلى الله من معصية الرسول ﷺ في إعفاء اللحية وكان سيحلقها وهو يقول أتوب إلى الله من حلقها فإنه كاذب . وهكذا جميع المعاصي إذا كان الإنسان مصراً عليها فإن دعواه التوبة كذب ، ولاتقبل توبته .

ومن التخلي عن الذنب والإقلاع عنه أن يرد المظالم إلى أهلها إذا كانت المعصية

في حقوق العباد ، فإن كانت في أخذ مال فليرد المال إلى من أخذه منه ، فإن كان قد مات فليرده إلى ورثته ، فإن تعذر عليه أن يعرف الورثة أو نسي الرجل أو ذهب الرجل إلى مكان لايمكن العثور عليه مثل أن يكون أجنبياً فيرجع الرجل إلى بلده ، ولايدري أين هو ، ففي هذا الحال فإنه يخرج المال صدقة ينويها لصاحب المال الذي يطلبه وإذا كان الذنب في غيبة المغتاب وكان المغتاب إذا جاءه أخوه يعتذر إليه أن يقبل وأن يسامح عنه ، فإذا جاء إليك أخوك معتذراً مقراً بالذنب فاعف عنه واصفح ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ المائدة : ١٣ ] .

ولكن إذا لم يقبل أن يتسامح عن غيبته إلا بشيء من المال فأعطه المال ، أعطه من المال حتى يقتنع ويحللك .

كذلك إذا كانت المعصية متعلقةً بينك وبين أحد كأن ضربته مثلا ، فإن التوبة في ذلك أن تذهب إليه وتستسمح منه ، وتقول ها أنا أمامك فاضربني كما ضربتك ، حتى يصفح عنك ، المهم أنه من الإقلاع عن المعصية ، إذا كانت لأدمي أن تتحلل منه ، سواء كانت مظلمة مال أو بدن أو عرض .

**الشرط الرابع :** أن يعزم على ألا يعود في المستقبل ، فإن تاب وأقلع عن الذنب لكن في قلبه أنه إذا حانت الفرصة عاد إلى ذنبه ، فإن ذلك لايقبل منه ، فهذه توبة لاعب ، فلابد أن يعزم ، فإن عزم ثم قدر أن نفسه سولت له بعد ذلك أن يفعل المعصية ، فإن ذلك لاينقص التوبة السابقة ، لكن يحتاج إلى توبة جديدة من الذنب مرة ثانية .

**الشرط الخامس :** أن تكون التوبة في الوقت التي تقبل فيه ، فإن فات الأوان لم تنفع التوبة ويفوت الأوان إذا حضر الإنسان الموت ، فإذا حضره الموت فلا توبة ، ولو تاب لم تنفعه ، يقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ [ النساء : ١٨ ] . الآن لا فائدة فيها .

ولهذا لما أغرق فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ، فقيل له ﴿ **آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ يعني أتقول هذا الآن : ﴿ **آلآنَ** ﴾ [ يونس : ٩٠ - ٩١ ] .فإنه قد فات الآوان ، ولهذا يجب على الإنسان أن يبادر بالتوبة ، لأنه لايدري متى يفاجئه الموت ، فكم من إنسان مات بغتة ومفاجأة ، فليتب إلى الله قبل أن يفوت الأوان .

وكذلك يفوت أوان التوبة إذا طلعت الشمس من مغربها ، فإن النَّبي ﷺ قد أخبرنا أن الشمس تدور بإذن الله على الأرض ، وإذا غابت سجدت تحت عرش الرحمن عز وجل ، واستأذنت الله فإن أذن لها استمرت في سيرها ، وإلا قيل ارجعي من حيث جئت فترجع بإذن الله وأمره ، فتطلع على الناس من المغرب فحينئذ يؤمن جميع الناس ،وكل الناس يتوبون ويرجعون إلى الله ، ولكن ذلك لا ينفعهم ، قال الله تعالى : ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ** ﴾ يعني عند الموت ﴿ **أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ** ﴾ يعني يوم القيامة للحساب ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾ .

[ الأنعام : ١٥٨ ].

هذه خمسة شروط للتوبة لاتقبل إلا بها ، فعليك يا أخي أن تبادر بالتوبة إلى الله والرجوع إليه ما دمت في زمن الإمهال ، قبل أن يفوتك ذلك ، واعلم أنك إذا تبت إلى الله توبة صالحة نصوحة فإن الله يتوب عليك ، وربما يرفعك إلى منزلة أعلى من منزلتك .

انظر إلى آدم أبيك حيث نهاه الله عن الأكل من الشجرة ، فعصى ربه بوسوسة الشيطان له ، قال الله تعالى : ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** ﴾ [ طه : ١٢١ - ١٢٢ ] ، حين تاب نال الاجتباء ، واجتباه الله وصار في منزلة أعلى من قبل أن يعصي ربه ، لأن المعصية أحدثت له خجلا وحياء من الله ، وإنابة ورجوعاً إليه فصارت حاله أعلى مآلاً من قبل، واعلم أن الله أشد فرحاً بتوبة

عبده المؤمن من رجل كان على راحلته وعليها طعامه وشرابه في أرض فلاة [1] ، ما فيها أحد فضاعت الناقة وطلبها فلم يجدها ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فإذا بخطام ناقته متعلق بالشجرة ، قد جاء الله بها ، فأخذ بخطامها وقال من شدة الفرح : « اللهم أنت عبدي وأنا ربك » ، أخطأ من شدة الفرح ( متفق عليه ) ، أراد أن يقول اللهم أنت ربي وأنا عبدك ، ولكن أخطأ من شدة الفرح ، لأن الإنسان إذا اشتد فرحه لايدري ما يقول ، فالله بتوبة عبده المؤمن أشد فرحا من فرح هذا بناقته .

وقوله جلا وعلا ذكره : « **ياعبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني** » يعني أنه تبارك وتعالى غني عن العباد ، لا ينتفع بطاعتهم ولا تضره معصيتهم .

فإنه عز وجل قال في كتابه : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ [ الذاريات : ٥٦ - ٥٨ ] .

فالله عز وجل لا ينتفع بأحد ولا يتضرر بأحد لأنه غني عن الخلق جل وعلا ، وإنما خلق الخلق لحكمة أرادها تبارك وتعالى ، خلقهم لعبادته ، ثم إنه وعد الطائعين بالثواب ، وتوعد العاصين بالعقاب حكمة منه لأنه خلق الجنة والنار ، وقال لكل منكما على ملأها ، فالنار لابد أن تملأ ، والجنة لابد أن تملأ كما قال الله عز وجل : ﴿ **وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ .

[ هود : ١١٩ ] .

**إذاً قال فيما بعد هذه الجملة :** « لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئاً » لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا متقين ، على أتقى قلب رجل واحد ، مازاد ذلك في

(١) فلاة : يعني صحراء .

ملك الله شيئاً لأن الملك ملكه لا للطائعين ولا للعاصين .

كذلك أيضاً يقول جل وعلا : « ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » أو كان الناس كلهم من جن وإنس وأولهم وآخرهم ، لو كانوا كلهم فجارا وعلى أفجر قلب رجل، فإن ذلك لاينقص من ملك الله شيئاً ، قال الله تعالى : ﴿ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾[ الزمر : ٧ ] .

فالله جل وعلا لا ينقص ملكه بمعصية العصاة ، ولا يزيد بطاعة الطائعين ، وملك الله على كل حال. في هذه الجمل الثلاث دليل على أن الله سبحانه وتعالى له الكمال في سلطانه،وإنه لايتضرر بأحد ولا ينتفع بأحد لأنه غني عن كل أحد.

قال تعالى : « **يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** » ، هذه الجملة تدل على سعة ملك الله عز وجل ، والإنس والجن لو قاموا كلهم في صعيد واحد فسألوا الله ما تبلغه نفوسهم ، من أي مسألة وإن عظمت ، فأعطى الله كل إنسان ماسأل الله بل أعطى الله كل سائل ما سئل ، فإن ذلك لا ينقص من ملك الله شيئاً ، لأن الله جواد ، واجد ماجد ، عظيم الغني، واسع العطاء ، عز وجل .

« إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر إغمس المخيط في البحر وانظر ماينقص البحر ؟ إنه لاينقص شيئاً ، ولا يأخذ المخيط من البحر شيئاً يمكن أن ينسب إليه ، وذلك لأنه عز وجل واسع الغنى جواد ماجد كريم سبحانه وتعالى .

« **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها** » ومعنى « إنما هي أعمالكم » أي الشأن كله من الإنسان بعمله ، يحصي الله أعماله ثم إذا كان يوم القيامة وفاه إياها ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [ الزلزلة : ٧ - ٨ ] .

« فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » لأنه هو الذي أخطأ ، وهو الذى منع نفسه الخير ، أما إذا وجد خيراً فليحمد الله ، لأن الله هو الذي مَنَّ عليه أولا وآخرًا مَنَّ عليه أولا بالعمل ،ثم مَنَّ عليه ثانيا بالجزاء الوافر .

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا ﴾ .

{ الأنعام : ١٦٠ } .

فهذا الحديث حديث عظيم ، تناوله العلماء بالشرح والاستنباط للفوائد والأحكام منه ، وممن أفرد له مؤلفا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فإنه شرح هذا الحديث في كتاب مستقل فعلى الإنسان أن يتدبره ،وهي أن الإنسان يجزى بعمله ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشر .

ولهذا وضع المؤلف لهذا في باب المجاهدة ، أن الإنسان ينبغي له أن يجاهد نفسه وأن يعمل الخير حتى يجد ما عند الله خيراً وأعظم أجراً [١] .

(١) شرح الحديث رقم (١١١) من «رياض الصالحين» .

## كرم الله وفضله

عن ابن عباس - رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « **إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة ، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة** » . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف ، البخاري في الرقاق (٦٤٩١) ، ومسلم في الإيمان (١٣١) وأحمد (١ ، ٣١٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦١) .

**الشرح :**

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « **إن الله كتب الحسنات والسيئات** » .

إذا عبر الصحابي بمثل هذا التعبير أي أن النّبي ﷺ فيما يرويه أو فيما رواه عن ربه فإنه يسمى عند أهل العلم حديثاً قدسياً ، قوله : « **إن الله كتب الحسنات والسيئات** » أي : كتب ثوابهما وكتب فعليهما فهو الذي كتب السيئات وكتب الحسنات ، لأن الله تعالى حين خلق القلم قال له : « **اكتب ، قال : رب ، ماذا أكتب ؟ ، قال أكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة** » . ( رواه الترمذي ٢١٥٥ ، صحيح الجامع ٢٠١٧ ) . وظاهر سياق الحديث أن المراد بهذه الكتابة الكتابة الثانية ، وهي كتابة الثواب لقوله : « ثم بين ذلك » ، أي وضحه بالتفصيل فقال : « **فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة** » ، الهم يعني : الإرادة ، أراد الإنسان أن يعمل حسنة ولكنه لم يعملها .

**ففي هذا الحديث :** أن الله كتبها حسنة كاملة يعني : لا نقص فيها . وقد دلت الأدلة على أنه إذا هم بالحسنة فلم يعملها فإن كان عاجزاً عنها ، أي : تركها

عجزاً بعد أن شرع فيها فإنه يكتب له الأجر كاملا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .

[ النساء : ١٠٠ ] .

وأما إذا هم بها ثم عدل عنها لكسل أو نحوه فإنه كذلك كما قال في الحديث يكتب له حسنة كاملة وذلك بنيته الطيبة ، قال : « وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة » ، إذا هم بها وعملها وأحسن في عمله بأن كان مخلصاً متبعاً لرسول الله ﷺ فإن الله يكتبها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وهذه المضاعفة تأتي بحسب حسن العمل والإخلاص فيه وقد تكون فضلاً من الله سبحانه وتعالى وإحساناً .

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

[ البقرة : ٢٦١ ] .

وقال : « وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها فإنه يكتب له حسنة كاملة » وذلك فيما تركها ؟ كما في بعض ألفاظ الحديث : « لأنه تركها من جرائي » · مسلم ( ١٢٨ ) . أي : من أجلي .

**وقد دلت الأدلة على أن من هم بالسيئة فلم يعملها فإنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام :**

**القسم الأول :** أن يحاول فعلها ويسعى فيها ولكن لم يدركها فهذا يكتب عليه وزر السيئة كاملة .

**القسم الثاني :** أن يهم بها ثم يعزف عنها . لا خوفاً من الله ولكن لأن نفسه عزفت فهذا لايكتب له ولا عليه .

**القسم الثالث :** أن يتركها لله عز وجل خوفاً منه وخشية ، فهذا كما جاء في هذا الحديث يكتبها الله حسنة كاملة .

قال : « **وإن هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة** » ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا ﴾ [ الأنعام : ١٦٠ ] . وهذا الحكم بالنسبة للسيئة أي : أنها تكون سيئة واحدة في مكة وغيرها وفي كل زمن إلا في الأشهر الحرم ولكنها في مكة تكون أشد وأعظم ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [ الحج : ٢٥ ] .

**وقال العلماء :** إن الحسنات والسيئات تضاعف في كل زمن فاضل وفي كل مكان فاضل لكن الحسنات تضاعف بالعدد والسيئات تضاعف بالكيف ولا تضاعف بالعدد لقوله تعالى : ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا ﴾ .

ولهذا الحديث الذي ساقه المؤلف - رحمه الله - إن الله يكتبها سيئة واحدة قال المؤلف : رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف .

أي أن المؤلف - رحمه الله - ساقة بلفظة وأكد ذلك - رحمه الله -لما في الحديث عن البشارة العظيمة والإحسان العظيم .

## من فوائد هذا الحديث :

حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه : أن النَّبي ﷺ يروي عن ربه وما رواه النَّبي ﷺ عن ربه يسمى عند أهل العلم حديثاً قدسياً .

■ **ومن فوائده :** أن الله سبحانه وتعالى كتب للحسنات جزاءًا وللسيئات جزاءًا ، وهذا من تمام عدله وإحكامه جل وعلا للأمور .

■ **ومن فوائد هذا الحديث :** أن رحمة الله سبقت غضبه حيث جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وأما السيئة فواحدة .

■ **ومن فوائد هذا الحديث :** الفرق بين الهم بالحسنة والهم بالسيئة ، فالحسنة إذا هم بها الإنسان ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وهذا مما إذا تركها لغير

العذر فإنه يكتب له الأجر كاملاً أجر النيـة وإذا كان من عادته أن يعملها ولكن تركها لعذر فإنه يكتب له الأجر كامـلاً أجر النية والعمل ، لحديث : « **من مرض أو سافر كتب له ماكان يعمل صحيحاً مقيماً** » . رواه البخاري .

أما السيئة فالهام بها إذا تركها لله عز وجل كتبها عنده حسنة كاملة وإن تركها أي السيئة عزوفاً عنها لا من أجل الله فإنها لا تكتب له ولا عليه ، وإن تركها عجزاً عنها كتب له وزر الفاعل بالنية إذا كان قد سعى فيها ولكن عجز بعد السعي فإنه يكتب له عقوبة السيئة الكاملة لقول النَّبي ﷺ :

« **إذا التقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** » . قالوا : يارسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « **لأنه كان حريصاً على قـتل صاحبه** » [١] . رواه البخاري (٣١) ، ومسلم (٢٨٨٨) .



(١) شرح الحديث رقم (١١) من «رياض الصالحين» .

# سعة مغفرة الله عز وجل

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : يابن آدم ، إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ماكان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . يا ابن آدم ، إنك لو آتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة** » .

رواه الترمذي (٣٥٤٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٣١) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع » (٤٣٣٨) . وانظر «الصحيحة» (١٢٧) .

هذا من الأحاديث القدسية التي يرويها النَّبي ﷺ عن ربه أنه قال جل وعلا : « **يابن آدم إنك** » . الخطاب لجميع بني آدم « **إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك** » . (ما) شرطية يعني: متى دعوتني ورجوتني . « **دعوتني** » أي : سألتني أن أغفر لك . « **رجوتني** » رجوت مغفرتي ولم تيأس . « **غفرت لك** » وهذا جواب الشرط والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه أي : أن الله يستر ذنبك عن الناس ويتجاوز عنك فلا يعاقبك . وقوله : « **على ماكان منك ولا أبالي** » . يعني : على ماكان منك من المعاصي . وهذا يشهد له قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ . [ الزمر : ٥٣ ] .

« **يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان**[1] **السماء** » . يعني لو بلغت أعلى السماء « **ثم استغفرتني غفرت لك** » . يعني مهما عظمت الذنوب حتى لو وصلت السماء بكثرتها ثم استغفرت الله بصدق وإخلاص وافتقار غفر الله لك .

« **يابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً**

---

(١) عنان : جمع عنانة وهي السحابة .

**لأتيتك بقـرابها مغـفرة** » . قرابهـا يعني : قرب ملئها إذا لقي الإنسـان ربه عز وجل بقراب الأرض أي : ملئها أو قربه خطايا لكنا دون الشرك .

ولهذا قال : « **ثم لقيتني لا تشـرك بي شيئاً لأتيتك بقرابهـا مغفرة** » . وهذا يدل على فضـيلة الإخلاص وأنه سبب لمغفـرة الذنوب . أن الإنسان مهمـا دعا بأي شيء ورجا الله في أي شيء إلا غفر الله له .

### بيان سعة فضل الله عز وجل :

أن الذنوب وإن عظمت إذا استغفر الإنسان ربه منها غفرها .

فضيلـة الإخـلاص وأنه سبب لمغـفرة الذنوب ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [ النساء : ٤٨ ] .

فنسأل الله تعالى أن يعمنا جميعاً بمغفرته ورضوانه وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

والحـمد لله رب العـالمين ، وصلِّ اللهم على نبـينا محـمد وعلى آله وصـحبـه أجمعين [١] .



(١) شرح الحديث رقم (٤٤٠) من «رياض الصالحين» .

## فضل التوبة

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري - رضي الله عنه - أن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال : **« كان فيمن كـان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسـا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فـقال : إنه قتل تسعـة وتسعين نفسا ، فهـل له من توبة، فقال : نعم ، وهل يحـول بينه وبين التـوبة ؟ انطلق إلى أرض كـذا وكذا ، فـانطلق حـتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاخـتصمت فـيه ملائكة العـذاب وملائكة الرحمة . فـقالت ملائكة الرحمـة : جاء تائباً مقـبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت مـلائكة العذاب : إنه لم يعمل خـيراً قط ، فأتـاهم ملك في صورة آدمي فجـعلوه بينهم - أي حكما - فـقال : قيـسوا مـابين الأرضين فإلـى أيتهـما كان أولـى فهو لـه ، فقاسـوا فوجـدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة »** رواه البخاري ( ٣٤٧٠ ) مسلم (٢٧٦٦).

وفي رواية في الصحيح: **«فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر،فجعل من أهلها »** .

وفي رواية في الصحيح : **« فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي ، وإلى هذه أن تقاربي وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له »** .

وفي رواية : « فنأى بصدره نحوها » .

وعن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: **« كـان فيمن كان قبلكـم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا » ثم إنه ندم وسأل عن أعلم أهل الأرض ليسأله هل له من توبة فدل على رجل، فإذا هو راهب - لكن عـابدا - ولكن لا علم عنده ، فلما سـأله قال : إنه قـتل تسعـة وتسعين نفسا فـهل له من توبة ؟ ، فاستعظم الراهب هذا الذنب وقـال : ليس لك توبة فغضب الرجل وانزعج وقـتل الراهب فأتم به مـائة نفس ، ثم إنه سـأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عـالم فقال له إنه قـتل مائة نفس فهل لـه من توبة ؟ قال : نعم ! ومن الذي يحول بينه وبين التوبة ، باب التوبة مفتوح ، ولكن اذهب إلى القرية الفلانية فإن فيهـا قومًا يعبـدون الله كأنها والله أعلم دار كفـر ، فأمره هذا العالم أن يهـاجر من هذه**

القرية ، ويكون مع هؤلاء القوم الذين يعبدون الله عز وجل ، وفي منتصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب لأن الكافر والعياذ بالله تقبض روحه ملائكة العذاب والمؤمن تقبض روحه ملائكة الرحمة ، فاختصموا ! ملائكة العذاب تقول إنه لم يعمل خيراً قط أي بعد توبته ما عمل خيراً ، وملائكة الرحمة تقول إنه تاب وجاء نادما تائبا فحصل بينهما خصومة فبعث الله إليهم ملكاً ليحكم بينهم .

فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أقرب فهو له ، أي فهو من أهلها . إن كانت أرض الكفر أقرب إليه فملائكة العذاب تقبض روحه وإن كان إلى بلد الإيمان أقرب فملائكة الرحمة تقبض روحه .

فقاسوا ما بينهما فإذا البلد التي اتجه إليها وهي الإيمان أقرب من البلد التي هاجر منها بنحو شبر - مسافة قريبة - فقبضته ملائكة الرحمة .

**ففي هذا دليل على فوائد كثيرة :**

■ **منها :** أن القاتل له توبة ودليل ذلك في كتاب الله ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [ النساء : ٤٨ ] : يغفر مادون الشرك فإن الله يغفره إن شاء . وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم .

وذكر عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن القاتل ليس له توبة لأن الله يقول : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [ النساء : ٩٣ ] .

ولكن ماذهب اليه الجمهور هو الحق وما روي عن ابن عباس فإنه يمكن أن يُحمل على أنه ليس له توبة بالنسبة للمقتول وذلك لأن القاتل إذا قتل تعلق فيه ثلاثة حقوق:

**الحق الأول :** لله .

**والثاني :** للمقتول .

**والثالث :** لأولياء المقتول .

أما حق الله فلاشك أن الله يغفره بالتوبة لقوله الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ .

[ الزمر : ٥٣ ] .

ولقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ [ الفرقان : ٦٨ - ٧٠ ] .

وأما حق المقتول فإن توبة القاتل لاتنفعه ولا تؤديه حقه لأنه مات ولا يمكن الوصول إلى الاستحلال أو التبرؤ من دمه فهذا هو الذي يبقى مطالبا به القاتل ولو تاب وإذا كان يوم القيامة فالله يفصل بينهما .

وأما حق أولياء المقتول فإنها لاتصح توبة القاتل حتى يسلم نفسه إلى أولياء المقتول ويقر بالقتل ، ويقول : أنا القاتل وأنا بين أيديكم إن شئتم اقتلوني ، وإن شئتم خذوا الدية وإن سمحوا [١] .

(١) شرح الحديث رقم (٢٠) من «رياض الصالحين» .

## فضل الاستغفار

وعن على بن ربيعة قال : شهدت عليَّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتي بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله في الركاب قال : « **بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله ثم قال : سبحان الذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، ثم قال : الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال : الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال :سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لايغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك فقيل : يا أمير المؤمنين ، من أي شيء ضحكت ؟ قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فعل كما فعلت ، ثم ضحك فقلت : يارسول الله من أي شيء ضحكت ؟ قال : « إن ربك سبحانه يعجب من عبده إذا قال : اغفر لي ذنوبي ، يعلم أنه لايغفر الذنوب غيري** » .
رواه أبو داود (٢٦٠٢) والترمذي (٣٤٤٦) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٥٣) .

### الشرح :

في حديث على بن أبي طالب - رضي الله عنه - بيان سعة مغفرة الله ورحمته وأنه - عز وجل - يفرح من عبده إذا استغفره وتاب إليه ، وقد ثبت عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « **لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته** » .

وذكر الحديث وهو أن رجلاً مسافراً أضل راحلته وفقدها فطلبها فلم يجدها، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس [1] منها ومن الحياة ، ونام تحت شجرة ينتظر الموت ، فبينما هو كذلك إذا براحلته قد تعلقت بالشجرة ، فأخذ بزمامها وقال : « اللهم أنت عبدي وأنا ربك » يريد أن يقول : « اللهم أنت ربي وأنا عبدك » [2] لكنه أخطأ من شدة الفرح ، فالله - عز وجل - يفرح بتوبة عبده.

---

(١) أيس : المراد يئس وفقد الأمل .
(٢) البخاري (٦٣٠٩) مسلم (٢٧٤٧) .

فعليك - أخي المسلم - أن تتوب إلى الله وترجع وتستغفر وتعلم أنك متى استغفرت الله تعالى بصدق وإخلاص فإن الله تعالى يغفر لك : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [ النساء : ١١٠ ] .

نسأل الله أن يغفر لنا ولكم ويرحمنا ويرحمكم إنه على كل شيء قدير [١] .

(١) شرح الحديث رقم (٩٧٤) من «رياض الصالحين» .

## ستر الله للعبد

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : { **يُدني المؤمنُ يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟، أتعرف ذنب كذا ؟ ، فيقول : رب أعرف . قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته** }[1] .

كنفه : ستره ورحمته .

### الشرح :

من صفة محاسبة العبد المؤمن أن الله عز وجل يأتي يوم القيامة فيخلو بعبْده المؤمن ويضع عليه كنفه يعني ستره ويقول : فعلت كذا . وفعلت كذا ويقرره بالذنوب . فإذا أقر قال : { كنت سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته باليمين }[2] .



(١) رواه البخاري ( ٢٤٤١ ) ، ومسلم ( ٢٧٦٨ ) .
(٢) الحديث رقم ٤٣٣ من «رياض الصالحين» .

## حكم التصوير لذوات الأرواح

عن أبي هـريرة رضي الله عنه قـال :قـال رسـول الله ﷺ : { قـال تعالى : ومن أظلم ممن ذهـب يخـلق كخلقي فليـخلقـوا ذرة أو ليخلقوا حبـة أو ليخلقـوا شعيرة } . رواه البخاري (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١) .

### الشرح :

قـوله في الحـديث :{ ومن أظلم ممن ذهب يـخلق كـخلقي } .ينتـهي سند هذا الحديث إلى الله عـزوجل - ويسمى حـديثاً قدسـياً وسبق الكلام عـنه في باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب قوله : -{ ومن أظلم } . «من» :اسم استفهام والمراد به بالنفي أي :- لا أحد أظلم ، وإذا جاء النفي بصيغـة الاستفهام كان أبلغ من النفي المحض لأنه يكـون مشـرباً معنى التحـدي والتعجـيز فإن قيـل : كـيـف يجمع بين هـذا الحديـث وبـين قوله تعـالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ .

{ البقرة : ١١٤ } .

وقـوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ { الأنعام : ٢١ } . وغير ذلك من النصوص .

### فالجواب من وجهين :

**الأول:** أن المعنى أنها مشتركه في الأظلميـة أي أنها في مستوى واحد في كونها في قمة الظلم .

**الثانيه :** أن الأظلميه نسيـبة . أي أنه لا أحد أظلم من هذا في نوع هذا العمل لا في كل شيء . فيـقال مـثلاً : - من أظلم في مشـابهة أحد فـي صنعه ممن ذهب يخلق كـخلق الله . ومن أظلم في منع حق ممـن منع مسـاجـد الله . ومن أظلم في افتراء الكذب ممن افترى على الله كذباً .

■ **قوله :** – « يخلق » حال من فاعل ذهب . أي : ممن ذهب خالقاً . والخلق في اللغة : التقدير . قال الشاعر :-

ولأنت تفري ما خلقت وبعض الناس يخلق ثم لا يفرى

تفري : – أي تفعل . ما خلقت . أي: ما قدرت . ويطلق الخلق على الفعل بعد التقدير . وهذا هو الغالب . والخلق بالنسبة للإنسان يكون بعد تأمل ونظر وتقدير.

وأما بالنسبة للخالق ، فإنه لا يحتاج إلى تأمل ونظر لكمال علمه . فالخلق بالنسبة للمصور يكون بمعنى الصنع بعد النظر والتأمل .

■ **قوله :** [ **يخلق كخلقي** ] . فيه جواز إطلاق الخلق على غير الله . وقد سبق الكلام على هذا والجواب عنه في أول الكتاب.

■ **قوله :** [ **فليخلقو ذرة** ] اللام للأمر والمراد به التحدي والتعجيز وهذا من باب التحدي في الأمور الكونية .

■ **وقوله تعالى :** ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ** ﴾ [ الطور : ٣٤ ] ، من باب التحدي في الأمور الشرعية .

والذرة : – واحدة الذر وهي النمل الصغار . وأما من قال :- بأن الذرة هي ما تتكون منها القنبله الذريه فقد أخطأ . لأن النَّبي ﷺ يخاطب الصحابه بلغة العرب وهم لايعرفون القنبلة الذرية وذكر الله الذرة لأن فيها روحاً وهي من أصغر الحشرات.

■ **قوله :** [ أو ليخلقوا حبة ] (أو) للتنويع . أي: انتقل من التحدي بخلق لحيوان ذي الروح إلى خلق الحبة التي هي أصل الزرع من الشعير وغيره وليس لها روح .

■ **قوله :** [ أو ليخلقوا شعيرة ] يحتمل أن المراد شجرة الشعير فيكون في الأول ذي التحدي بأصل الزرع وهي الحبة ويحتمل أن المراد الحبة من الشعير ويكون هذا من باب ذكر الخاص بعد العام لأن حبة الشعير أخص من الحب . أو تكون (أو )

شكاً من الراوي .فالله تحدى الخلق إلـى يوم القيامه أن يخلقوا ذرة أو يخلقـوا حبة أو شعيرة . فإن قيل :- يوجد أرز أمريكي مصنوع .

**أجيب :**

إن هذا المصنوع لا ينبت كالطبيعي .ولعل هذا هو السـر في قوله {أو ليخلقوا حبة }.ثم قال : {أو ليخلقوا شعيرة }.لأن الحبة إذا غرست في الأرض فلقها الله.قال تعالي: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴾ {الأنعام :٩٥ }.

وقـال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ { الحج :٧٣ } ، أي:- اجتمعوا لخلقه متعاونين عليه وقد هيأوا كل ما عندهم ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ « { الحج :٧٣ } .

**قال العلماء :** لو أن الذباب وقع على هذه الأصنام فامـتص شيئاً من طيبـها ما استطاعوا أن يستنقذوه منه فيكون الذباب غالباً لها .

(ضعف الطالب ) أي : العـابد والمعبود (والمطلوب ) أي : الذباب ويستـفاد من هذا الحديث - وهو ما ساقه المؤلف من أجله .

**تحريم التصوير لأن المصور ذهب يخلق كخلق الله ليكون مضاهياً لله في صنعه والتصوير له أحوال :**

**الحالة الأولى :** أن يصور الإنسـان ماله ظل كمـا يقولون ، أي : مـاله جسم على هيكل إنسان أو بعيـر أو أسد أو ما أشبههـا فهذا أجمع العلماء فـيما أعلم على تحريمه . فإن قلت : -إذا صـور الإنسان لا مضاهاة لخلق الله . ولكن صور عـبثاً . يعني :صنع من الطين أو من الخشب أو من الأحجار شيـئاً على صورة حيوان وليس قصده العبث أو وضعه لصبي ليهدئه به فهل هذا يدخل في الحديث ؟ .

**فالجواب :**

نعم يدخل في الحديـث لأنه خلق كخلق الله . ولأن المضاهاة لا يشـترط فيـها

القصد وهذا هو سر المسألة . فمتى حصلت المضاهاة ثبت حكمها ولهذا لو أن إنساناً لبس لبساً يختص بالكفار ثم قال : - أنا لا أقصد التشبه بهم . نقول : - التشبه منك بهم حاصل أردته أم لم ترده .

وكذلك لو أن أحداً تشبه بامرأة في لباسها أو في شعرها أو ما أشبه ذلك وقال : ما أردت التشبه . قلنا له : - قد حصل التشبه سواء أردته أم لم ترده .

**الحالة الثانيه :** أن يصور صوراً ليس لها جسم بل بالتلوين والتخطيط فهذا محرم لعموم الحديث ويدل عليه حديث النمرقة حيث أقبل النَّبي ﷺ إلى بيته فلما أراد أن يدخل رأي نمرقة فيها تصاوير فوقف وتأثر وعرفت الكراهة في وجهه فقالت عائشه رضي الله عنها : - ما أذنبت يارسول الله؟ ، فقال : - (**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامه . يقال لهم : أحيوا ما خلقتم** ) رواه البخاري «٢١٠٥» مسلم «٢١٠٧». فالصور بالتلوين كالصور بالتجسيم .

وقوله في [صحيح البخاري] : ( إلا رقماً في ثوب ) . البخاري (٥٩٥٨)

إن صحت الروايه هذه فالمراد بالاستثناء ما يحل تصويره من الأشجار ونحوها.

**الحالة الثالثة :** أن تلتقط الصور التقاطاً بأشعة معينه بدون أي تعديل أو تحسين من الملتقط فهذا محل خلاف بين العلماء المعاصرين .

**فالقول الأول :** أنه تصوير وإذا كان كذلك فإن حركة هذا الفاعل للآلة يُعَدُّ تصويراً إذ لولا تحريكه إياها ما انطبعت هذه الصورة على هذه الورقة ونحن متفقون على أن هذه صورة فحركته تعتبر تصويراً فيكون داخلاً في العموم.

**القول الثاني :** أنها ليست بتصوير لأن التصوير فعل المصور وهذا الرجل ما صورها في الحقيقة وإنما التقطها بالآلة والتصوير من صنع الله .

ويوضح ذلك لو أدخلت كتاباً في آلة تصوير ثم خرج من هذه الآلة فإن رسم الحروف من الكاتب الأول لا من المحرك . بدليل أنه قد يشغلها شخص أمي لا

يعرف الكتابة إطلاقاً أو أعمى في ظلمة وهذا القول أقرب. لأن المصور بهذه الطريقة لا يعتبر مبدعاً ولامخططاً .

ولكن يبقى النظر : هل يحل هذا الفعل أو لا ؟.

**والجواب :**

إذا كان لغرض محرم صار حراماً وإذا كان لغرض مباح صار مباحاً . لأن الوسائل لها أحكام المقاصد .

وعلى هذا فلو أن شخصاً صور إنساناً لما يسمونه بالذكرى سواء كانت هذه الذكرى للتمتع بالنظر إليه أوالتلذذ به أو من أَجل الحنان والشوق إليه فإن ذلك محرم ولا يجوز لما فيه من اقتناء الصور لأنه لاشك أن هذه صورة ولا أحد ينكر ذلك .

وإن كان لغرض مباح كما يوجد في التابعية والرخصة والجواز وما أشبهها فهذا يكون مباحاً ،فإذا ذهب الإنسان الذي يحتاج إلى رخصة إلى هذا المصور الذي تخرج منه الصور الفورية بدون عمل لاتحميض ولا غيره وقال : - صورني فصوره فإن هذا المصور لا نقول : - إنه داخل في الحديث أي : حديث الوعيد على التصوير .

أما إذا قال : صورني لغرض آخر غير مباح صار من باب الإعانة على الإثم والعدوان .

**الحالة الرابعة :** أن يكون التصوير لما لا روح فيه وهذا على نوعين :

**النوع الأول** : أن يكون مما يصنعه الآدمي فهذا لا رأس به بالاتفاق لأنه إذا جاز الأصل جازت الصورة مثل أن يصور الإنسان سيارته فهذا يجوز لأن صنع الأصل جائز فالصورة التي هي فرع من باب أولى .

**النوع الثاني :** ما لايصنعه الآدمي وإنما يخلقه الله فهذا نوعان :

نوعٌ نامٍ ونوع غير نامٍ . فغير النامي كالجبال والأودية والبحار والأنهار فهذه لا بأس بتصويرها بالاتفاق .

أما النوع الذي ينمو فاختلف في ذلك أهل العلم . فجمهور أهل العلم على جواز تصويره لما سيأتي في الأحاديث .

وذهب بعض أهل العلم من السلف والخلف إلى منع تصويره واستدل بأن هذا من خلق الله - عز وجل - والحديث عام :

{ **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي** } لأن الله - عز وجل - تحدى هؤلاء بأن يخلقوا حبة أو يخلقوا شعيرة . والحبة والشعيرة ليس فيها روح . لكن لاشك أنها نامية . وعلى هذا فيكون تصويرها حراماً . وقد ذهب إلى هذا مجاهد رحمه الله - وهو من أعلم التابعين بالتفسير - وقال : إنه يحرم على الإنسان أن يصور الأشجار لكن جمهور أهل العلم على الجواز .

وهذا الحديث هل يؤيد رأي الجمهور أو يؤيد رأي مجاهد ومن قال بقوله ؟ الجواب : يؤيد رأي مجاهد .

**ومن قال بقوله أمران :**

**أولاً :** العموم في قوله : { **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي** } .

**ثانياً :** قوله : { **أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة** } . وهذه ليست ذات روح . فظاهر الحديث هذا مع مجاهد ومن يرى رأيه .

ولكن الجمهور أجابوا عنه بالأحاديث التالية : وهي أن قوله : { **أحيوا ما خلقتم** } .

وقوله : { **كلف أن ينفخ فيها الروح** } مسلم ( ٢١١٠ ) والبخاري بنحوه (٢٢٢٥).

يدل على أن المراد تصوير ما فيه روح . وأما قوله : { **وليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة** } . فذكر على سبيل التحدي . أي : أن أولئك المصورين عاجزون حتى عن خلق مالا روح فيه [١] .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ( ١٠/ ١٠٢٣ - ١٠٢٩ ) .

## تحريم الكبر

عن ابن عمر رضي الله عنهما : { **يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمني ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟** } رواه مسلم (٢٧٨٨) .

### الشرح :

■ **قوله : { يطوي الأرضين السبع }** : أشار الله في القرآن إلى أن الأرضين سبع ولم يرد العدد صريحاً في القرآن . قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾ { الطلاق : ١٢ } .

والمماثلة هنا لاتصح إلا في العدد . لأن الكيفية تتعذر المماثلة فيها . وأما السنة فقد صرحت بعدة أحاديث بأنها سبع .

■ **قوله : { ثم يأخذهن بشماله }** . كلمة ( شمال ) اختلف فيها الرواة فمنهم من أثبتها ومنهم من أسقطها . وقد حكموا على من أثتبها بالشذوذ لأنه خالف ثقتين في روايتها عن ابن عمر رضي الله عنهما .

■ **ومنهم من قال :** إن ناقلها ثقة ولكنه قالها من تصرفه وأصل هذه التخطئة هو ما ثبت في ( صحيح مسلم ) : أن الرسول ﷺ قال : { **المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين** } رواه مسلم (١٨٢٧) .

وهذا يقتضي أنه ليس هنا يد يمين ويد شمال .

ولكن إذا كانت لفظة ( شمال) محفوظة فهي عندي لاتنافي ( كلتا يديه يمين ) . لأن المعنى أن اليد الأخرى ليس كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى . فقال : { **كلتا يديه يمين** } . أي ليس فيها نقص .

ويؤيد هذا قوله في حديث آدم : { **اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة** } .

رواه الترمذي (٣٣٦٨) وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٢٠٩) .

فلما كـان الوهم يذهب إلى أن إثبات الشمـال يعني : النقص في هذه اليد دون الأخرى . قال : { **كلتا يديه يمين** } .

**ويؤيده أيضاً قوله :** { **المقسطون على منابر نور على يمين الرحمن** } [1] فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم وأنهم على يمين الرحمن - سبحانه - وعلى كل فإن يديه - سبحانه - اثنتان بلا شك وكل واحدة غير الأخرى .

وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنى بل كلتا يديه يمين .

**والواجب علينا أن نقول :** إن ثبتت عن رسـول الله ﷺ فنحن نؤمن بها ولا منافاة بينها وبين قوله : { **كلتا يديه يمين** } كما سبق وإن لم تثبت فلن نقول بها [2] .



(١) رواه مسلم (١٨٢٧) والنسائي (٨/ ٢٢١) .
(٢) مجموع فتاوي ورسائل الشيخ (١٠/ ١١٢١ - ١١٢٣) .

## الدجـــال

عن النواس بن سمـعان رضي الله عنه قال : ذكر رسـول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفض فـيه ، ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا إليـه ، عرف ذلك فينا فقـال : « ما شأنكم ؟ » قلنا : يارسـول الله ذكرت الدجال الغـداة ، فخفضت فـيه ورفعت ، حـتى ظنناه في طائفة النخل فـقال ، « **غيـر الدجال أخـوفني عليكم ، إن يخـرج وأنا فيكم ، فـأنا حـجيـجـه دونكم ، وإن يخرج ولسـت فيكم ، فكل امـريء حجيج نفسـه ، والله خليفتي على كل مسلم . إنه شاب قطط عينه طافيـة ، كأني أشبِّهُ بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم ، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج حلة بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالاً ، ياعباد الله فاثبتوا** » .

قلنا يارسول الله ومـالُبثه [1] في الأرض ؟ قال: « **أربعون يومـاً يومٌ كسنه ، ويومٌ كشهـر ، ويومٌ كجمعـة ، وسائر [2] أيامه كأيامكم** » . قلنا : يارسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « **لا ، اقدروا له قدره** » .

قلنا : يارسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : « **كالغيث استدبرته الريح ، فيـأتي على القوم ، فيـدعوهم ، فيؤمنون به ، ويـستجيـبون له فيـأمر السماء فـتمطر ، والأرض فتنبت ، فـتروح عليهم سـارحتهم أطول ماكـانت ذرى ، وأسبغه ضـروعاً ، وأمده خـواصر ، ثـم يأتي القوم فـيدعـوهم ، فيـردون عليه قـوله ، فينصـرف عنهم ، فيصبحون مُمحَلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فـتتبـعه ، كنوزها كـيعـاسيب النحل ، ثم يدعـو رجلا ممتلئـاً شبـاباً فيـضربه بالسيف ، فيقطعه ، جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل أو يتهلل وجهه يضحك** .

---

(١) لُبثه : المراد إقامته .
(٢) سائر : باقي .

فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح ابن مريم ﷺ ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه ، قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله . . . . » مسلم (٢٩٣٧)

قوله : « حلة بين الشام والعراق » أي : طريقاً بينهما . وقوله : « عاث » بالعين المهملة والثاء المثلثة ، والعيث : أشد الفساد . « الذري » بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأسمنة . وهو جمع ذروة بضم الذال وكسرها « واليعاسيب » : ذكور النحل . « وجزلتين » أي : قطعتين ، « الغرض » الهدف الذي يرعى إليه بالشاب ، أي : يرميه رمية كرمي النشاب إلى الهدف « والمهرودة » بالدال المهملة المعجمة ، وهي : الثوب المصنوع .

**الدجال :** مبالغة من الدجل وهو الكذب ، والدجال : يعني كثير الكذب ، الذي لا يتصف إلا بالكذب .

حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل وفيه أن النَّبي ﷺ ذكر الدجال ذات غداة يعني ذات صبح في يوم من الأيام فخفض فيه ورفع يعني أنه تكلم بكلام طويل، حتى ظنوا أنه في طائفة النخيل يعني ظنوا أنه ذكر في المدينة وأنه قد جاء ، ولكن الأمر لم يكن كذلك . ثم إن النَّبي ﷺ عرف ذلك فيهم فسألهم فقالوا . إنك ذكرت الدجال الغداة وخفضت فيه ورفعت حتى ظننا أنه في النخل . فقال : غير الدجال أخوفني عليكم يعني أخاف عليكم شيئاً أشد من الدجال .

ومن ذلك الرياء حيث ثبت عنه ﷺ أنه قال « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فسئل عنه فقال : الرياء » أن الإنسان يرائي في عباداته : يصلى لأجل الناس ، يتصدق لأجل الناس ، يحسِّن الخُلُق لأجل الناس . . . فهذا رياء والعياذ بالله والمرائي حابط عمله ، والرياء من صفات المنافقين كما قال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ

**الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [ النساء : ١٤٢ ] واعلم أيها المرائي أن الله سيفضحك عن قرب ، لأن النَّبي ﷺ قال : « من راءي راءي الله به » يعني أظهر مراءاته وعيوبه عند الناس ، ومن سمع سمع الله به . ثم قال ﷺ « **إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه** [1] **دونكم** » : يعني لو خرج الدجال وأنا موجود فأنا أكفيكم إياه ، وإن يخرج يعني وليس فيهم فامرؤ حجيج نفسه يعني كل إنسان يحاج عن نفسه ، « **والله خليفتي على كل مؤمن** » فاستخلف ربه عز وجل أن يكون مؤيداً للمؤمنين واقيًا لهم من فتن الدجال الذي ليس بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أشد منها نسأل الله أن يقينا وإياكم فتنته .

« **إنه شاب قطط عينه طافية** » :

**شاب :** من بني آدم ، قطط : يعني مجتمع الخلق ، عينه طافية : يعني أنه لايبصر بها عنبة طافية طافية كما قال النَّبي ﷺ فهو أعور خبيث ، لكن الله عز وجل يرسله فتنة للناس فيأتي إليهم يدعوهم ويدعو أنه رب ، وقد مكن الله له ، فهو يأتي القوم يدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون ، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ، لكن ليس بقدرته وقوته بل بإرادة الله عز وجل لكن الله مكن له ابتلاءً وامتحاناً ، « فيصبحون تروح عليهم سارحتهم » يعني الغنم والإبل أكثر مايكون ضروعاً وأوفر ماتكون ذري وأمدها خواصر ، تمتلىء بطونها ، وتمتلىء ضروعها ، ويكون عليها الشحم ، ويأتي القوم فيدعوهم ولايستجيبون له بل يردونه ، فينصرف ، فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شيء ، الأرض خربت والسماء لا تمطر ، والمال يمور ، ولكن هؤلاء هم الذين لهم الأجر والثواب ، وعاقبتهم حميدة ، أما الأولون الذين آمنوا به وأمطرت السماء وأنبتت الأرض فهم خاسرون وإن ظنوا أنهم رابحون ، ويأتي إلى الخربة أرض خربة مابها بناء وما بها أناس فيقول : أيتها الأرض أخرجي

---

(١) حجيجه : خصيمه .

كنوزك فتخرج كنوزها وما بها من معادن : من ذهب ، وفضة وغير ذلك ، فتتبعه كيعاسيب النحل، ثم إنه يبقى في الأرض أربعين يوماً :

اليوم الأول طوله سنة كم شهراً ؟ اثنا عشر شهراً ، (٣٦٠) يوماً هذا اليوم الأول ، يوم والثاني مقداره شهر (٣٠) يوم ، والثالث مقداره جمعة يعني أسبوع ، وباقي الأيام وهي سبعة وثلاثون يوماً كالأيام المعتادة ولكن الله عز وجل نبه الصحابة قالوا : يارسول الله هذا اليوم الذي كسنة تكفينا فيه صلاة واحدة فيكون عليهم في هذا اليوم كم ؟ خمس صلوات قال لهم : لا ، اقدروا له قدرة يعني صلوا صلاة السنة كاملة في يوم واحد ) وهذا مما يؤخذ به يقال : إنسان وجبت عليه صلاة سنة كاملة في يوم واحد ، وأيضا يؤخذ به من جهة أخرى ، وجبت زكاة ماله في يوم واحد ، وأيضاً فيقال : يصوم رمضان بعض يوم يعني جزءاً من اثني عشر جزءاً من هذا اليوم ، نقول : هذا يوم الدجال وسبحان الله الحكيم الذي أكمل لنا الدين قبل أن يموت سيد المرسلين ﷺ ، أنطق الله الصحابة أن يسألوا عن هذا اليوم : هل تكفي فيه صلاة واحدة أم لا ؟ ، يوجد الأن في الأرض من يومهم ستة أشهر ، وليلهم ستة أشهر ، عند المدار القطبي ستة أشهر والشمس عليهم ، وستة أخرى والشمس لا يرونها فكيف يصلي هؤلاء ؟ يصلون صلاة يوم وليل فقط أو يقدرون لها قدرها ؟ نقول : يقدرون لها قدرها كيوم الدجال تماماً ، اليوم الثاني من أيام الدجال كشهر كيف تكون فيه الصلاة . . ؟ يصلون صلاة شهر ، واليوم الثالث يصلون صلاة أسبوع ، واليوم الرابع وما بقي كالعادي ، ثم سأله الصحابة ﷺ عن سيره في الأرض هل هو كالسير المعتاد كسير الإبل أو سير الأرجل ؟ قال : يسير كالغيث اجتذبته الريح والله أعلم كيف كان إسراعه هل يحدث الله له آلات ، طائرات ، أو غيرها ؟ ماندري ، لكنه هذا الذي أخبر النَّبي ﷺ أن يكون كالغيث سنة وشهر وأربعة وأربعون يوماً ثم ينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقتله. والله الموفق .

وسبق أن الدجال هو ذو الدجل والكذب والتمويه والتغرير وأنه كافر ، وأنه

يخرج حله بين الشام والعراق - يعني يخـرج من طريق بين الشام والعراق - من قبل ايران ويتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفا ، وكأنهم والله أعلم يجتمعون هناك ليتبعوا الدجال ، لأن اليهود أهل دجل وكـذب وغدر وخيانة لايؤمنون ، وسبق أنه يأتي القوم ويدعوهم فمن أجابوه منهم حصل لـهم القسط والرخاء ومن عصاه حصل لهم عكس ذلك .

ثم ذكر من فتـنته أنه يأتيه شاب ممتلىء شـباباً ، من المسلمين فيقـول له : أشهد أنك الدجال الذي أخبرنا عنه النَّبي ﷺ . فيقطعه نصفين بالسيف ، ويجعل واحدة بعيـدة عن الأخرى ، ثم يدعوه بعـد أن قطعه - يافلان فـيجتـمع النصفين ببعـضهم البعض ويقوم ويقبل على الدجال ويتهلل وجهـه وكأنه لم يفعل شيئاً ، ثم يقول له : والله أشهد أنـك أنت المسيح الدجال ، والله ما ازددت منك الا بصـيرة فيقـتله للمرة الثانية ويقطعه نصفين ثم يدعوه فيأتي ويتهلل وجهه، ثم يأتي الثالثة فيعجز أن يقتله ، هكذا من فـتنة الدجـال والإنسان إذا رأى هذا يـغتـر بلا شك ثم إن الله تعـالى ينزل عيـسى بن مريم رسـول الله ﷺ ينزل يداه على أجنحـة ملكين ؟ لأن الملائكة أولو أجنحة ، ينزلان به من السـماء ، لأن عيسى الآن حي في السمـاء ، ينزل عند قيام الساعة ليـقتل الدجال ينزل ، وكأنه والله أعلم قد اغـتسل بماء طيب ، إذا طأطأ رأسه قطر ماء ، وإذا رفعه تحدر منه مثل الجمان [1] ، فيحتمل أن هذا ماء يحتمل أنه عرق والله أعلم .ثم إنه يطلبه ، أي إنه يطلب الدجال الخبيث الماكر الأعور فلا يحل لكافر يجد ريح عيسى إلا مات - سبحان الله - نفس عيسى يقتل الكافر ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه وهذا أيضا من آيات الله ، يعني أنفاسنا نحن لاتعدو إلا شبراً أو نحوه ، لكن نفس عيسى ينتـهي حيث ينتهي طرفه ، ومعنى ذلك أنه يقتل أناسـاً كثيرين من الكفار ، لأن هذا النفس يطير في الهواء ، ولايحل لكافر يجد نفسه إلا مات ، ينزل عند المنارة البيـضاء شرقي دمـشق هكذا وصفه النَّـبي ﷺ وهي لابد أن توجد عند

---

(١) الجمان : جمع جمانة وهو نوع من الأحجار الكريمة .

نزول عيسى بن مريم ﷺ فيبلغ الدجال فيدركه عند باب اللُّد ، واللُّد الآن في فلسطين التي استعمرها اليهود عليهم لعائن الله إلى يوم القيامة استعمروها ، يدرك عيسى المسيح الدجال فيقتله هناك ، وهذه نهاية المسيح الدجال ، ويبقى المسيح رسول الله عيسى عليه السلام والله الموفق .

ثم يأتي عيسى بن مريم قوماً قد عصمهم الله - عز وجل - من فتنة الدجال ، فيمسح على وجوهم ويبشرهم بمنازلهم في الجنة ، فبينما هم كذلك - يعني على حالهم - إذ يوحي الله عز وجل إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم ، وهؤلاء العباد ليسوا عباد دين بل عباد قدر ﴿ **أن كُلُّ من في السَّمَوَات وَالأَرْضِ إلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴾ [ مريم : ٩٣ ] هؤلاء العباد هم يأجوج ومأجوج من كل حَدَبٍ ينسلون - أي من كل مكان مرتفع ينسلون - لأن الشعاب والأودية لاتسعهم فتجدهم يصعدون الجبال لينزلوا إلى الأرض من كثرتهم ، هؤلاء من بني آدم ليسوا حيا ولاجنساً ثالثاً بل هم من بني آدم، ودليل ذلك أن النَّبي ﷺ [١] قال : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يا آدم . فيقول لبيك وسعديك فيقول الله له : أخرج من ذريتك بعثاً إلى النار - أو قال بعث النار - قال : يارب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين من بني آدم ، كل هؤلاء في النار إلا واحد في الألف من بني آدم من أهل الجنة- فكبر ذلك على الصحابة وعظم عليهم ، وقالوا : يارسول الله أينا ذلك الواحد ؟ قال لهم ﷺ : أبشروا ؟ فإنكم في أمّتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه : يأجوج ومأجوج ، منكم واحد ومن يأجوج ومأجوج ألفاً ، فاستبشر الصحابة بذلك ، ثم قال أرجو أن تكونوا شطر [٢] أهل الجنة ، فكبروا وفرحوا ، ثم قال : أرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة ، وهذه الثالثة عندي فيها شك، لكن قد ورد عن النَّبي ﷺ أن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً منهم ثمانون من

(١) سبق تخريجه .
(٢) شطر : نصف .

هذه الأمة المهم أن يأجوج ومأجوج من بني آدم ، شكلهم شكل بني آدم لايختلفون عنهم ، أما ما روي في بعض الآثار أن منهم القصير المفرط في القصر ، والطويل المفرط في الطول ، وأن بعضهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف الأخرى كل هذا لاصحة له ، هم من بني آدم ومثلهم ، لكنهم أمم عظيمة كما قال تعالى ﴿ **وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ** ﴾ [ الأنبياء : ٩٦ ] ، أي من كل مرتفع ، لأن الأرض السهلة لاتسعهم من كثرتهم ، ﴿ **يَنسِلُونَ** ﴾ أي يسرعون كأنهم مسلطون على بني آدم ، فيقول عز وجل لعيسى : إني قد بعثت عباداً لا يدان أحد بقتالهم - يعني ما لأحد على قتالهم من قوة - فحرز عبادي إلى الطور - يعني احترزوا فيه والطور جبل معروف ، فيصعد عليه عيسى عليه السلام ومن معه ويحصرون فيه حتى أنهم يلحقهم من الجوع وشدة المؤنة مايكون رأس الثور أحب إلى أحدهم من كذا وكذا من الدنانير حينئذ يرغب عيسى ومن معه إلى الله عز وجل يدعون الله تعالى أن يصرف عنهم هذه الأمم التي حاصرتهم في هذا الجبل ، فيرسل الله تعالى النغف وهو عبارة عن : دودة في أعناقهم فيصبحون فرس ــ جمع فريسة ، يعني موتي ــ كنفس واحدة كل هذه الأمم التي لايحصيها إلا الله تموت في ليلة واحدة ، لأن الأمر بيد الله ــ عز وجل ــ هذا النغف من حين ما يدخل في أعناقهم يموتون على الفور ، ثم ينزل عيسى بن مريم وقومه إلى الأرض وإذا الأرض مملوءة من هذه الجثث نتناً ورائحة خبيثة ، فيرغب عيسى وقومه إلى الله عز وجل أن يصرف عنهم هذا ، فيرسل الله تعالى طيوراً كأعناق البخت - يعني مثل أعناق الإبل - طيور كبيرة قوية تأخذ الواحد منهم وتلقيه في البحر ، ومعنى هذا أنها طيور عظيمة لا يعلم عددها إلا الله عز وجل كل هذا بقدرة الله سبحانه وتعالى ، لأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فلا تستغرب ، ولاتقل من أين جاءت الطيور ؟ وكيف توالدت ؟ والله على كل شيء قدير ، هذه الطيور مثل أعناق الأبل تحمل الواحد وتلقيه في البحر حتى لايبقى منهم أحد . . . لكن كما تعلمون لابد أن يبقى في الأرض شيء من القذر

والأذى والرائحة بعد هذه الجثث فيرسل الله تعالى مطراً عظيماً يغسل الأرض لايكون منه مدر ولاوبر ، كل الأرض تمتلىء ماء حتى تكون كالـزلقة نُظفت تنظيفـاً تاماً بإذن الله عز وجل ويأمر الأرض أن تخرج بركاتها ،وثمراتها فيكون فيها الثمرات العظيمة ، والخير والبركة ، حتى إن اللقحـة من الأبل تكفي فئاماً من الناس ، ومن البقر تكفي القبـيلة من الناس ، ومن الغنم تكفي الفـخذ من الناس وهي واحدة لـكن الله تعالى يترك فـيها البركـة فتكفي أمما ، وتكثر الخـيرات والبركـات وكل هذا يدل على عظمة وقدرة الله عز وجل ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [ الشرح : ٥ - ٦ ] بدلاً من حصرتهم في الطور لايجدون شيئاً إذا بالأرض تنبت وتنزل فيها البركة والثمار . . . وغير ذلك ، كل هذا بأمر الله عز وجل . . . والله الموفق[١] .

---

(١) الحديث رقم(١٨٠٨) من «رياض الصالحين» .

## فضل الشفاعة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [ إبراهيم : ٣٦ ] وقول عيسى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [ المائدة : ١١٨ ] .

**فرفع يديه وقال :** ( اللهم أمتي أمتي ) وبكى . فقال الله عز وجل « يا جبريل اذهب إلى محمد – وربك أعلم – فسله مايبكيه فأخبره رسول الله ﷺ بما قال : فقال الله تعالى : [ **يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك** ] . رواه مسلم (٣١) .

**الشرح :**

إن النَّبي ﷺ لما تلا قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الأصنام : ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [إبراهيم : ٢٦ ] وقول عيسى عليه السلام : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [ المائدة : ١١٨ ] .

رفع ﷺ يديه وبكى . وقال : [ **يارب أمتي أمتي** ] فقال الله سبحانه وتعالى لجبريل : « **اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك** » .

وقد أرضاه الله عز وجل في أمته بأن جعل لهذه الأمة أجرها مضاعفاً كما جاء في الحديث الصحيح : [ **إن مثل هذه الأمة مع من سبقها . كمثل رجل استأجر أجراء من أول النهار إلى الظهر فأعطاهم على دينار دينار . واستأجر أجراء من الظهر إلى العصر وأعطاهم على دينار دينار . واستأجر أجراء من العصر إلى الغروب وأعطاهم على دينارين دينارين فاحتج الأولون وقالوا : كيف تعطينا على دينار دينار ونحن أكثر**

**منهم عملاً وتعطي هؤلاء على دينارين دينارين . فقال لهم الذي استأجرهم : هل ظلمتكم شيئاً ؟ قالوا : لا }** رواه البخاري ( ١/ ١٤٦ ) (٣/ ١١٨) .

إذا لا لوم عليه في ذلك . ففضل الله على هذه الأمة كبير وقد أرضاه الله في أمته ولله الحمد من عدة وجوه :

منها كثرة الأجر ، وأنهم الآخرون السابقون يوم القيامة وأنها فضلت بفضائل كثيرة . مثل قوله ﷺ : **{ أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً . وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي }** [١] .

فهذه الخصائص له ولأمته عليه الصلاة والسلام .

فالحاصل أن هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - كلها أحاديث رجاء . تحمل الإنسان على أن يعمل العمل الصالح يرجو بذلك ثواب الله ومغفرته [٢] .



---

(١) رواه البخاري (٣٣٥) مسلم (٥٢١) .

(٢) شرح الحديث رقم (٤٢٥) من «رياض الصالحين» .

## الشفاعة

« وعن أبي هريرة ﷺ قال كنا مع رسول الله ﷺ في دعـوة فرفع إليه الذراع وكانت تعـجبه فنهس منها نهـسة وقـال : **أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون مما ذاك ؟ يجمـع الله الأولين والآخرين في صـعيد واحـد ، فينظرهم الـناظر ، ويسمـعهم الداعي ، وتدنو منـهم الشـمس ، فـيبلـغ الناس من الغم والكرب مـالا يطيـقـون ولا يحتملون ، فيقول النـاس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه، وإلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض النـاس لبعض : أبوكم آدم ، ويأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشـر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فـيك من روحه ، وأمـر الملائكة فسـجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فـيه ، وما بلغنا ؟، فقال إن ربي غـضب غضبـاً لم يغـضب قبله مـثله ولا يغضب بعـده مثله ، وإنه نهـاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي نفسي . اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .**

**فيأتون نوحـاً فيقولون : يانوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقـد سماك الله عبـداً شكوراً ، ألا ترى إلى مـا نحن فيـه ، ألا ترى إلى ما بلغنا ، ألا تشـفع لنا إلى ربك ؟ فيقـول : إن ربي غضب اليوم غضـبا لم يغضب قبله مثلـه ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى إبراهيم .**

**فيأتون إبراهيم فيـقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيـه ؟ ، فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليـوم غضباً لم يغضب قـبله مثله ، ولن يغـضب بعده مـثله ، وإني كنت كذبت ثلاث كـذبات نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى .**

**فيأتون موسى فيقـولون : ياموسى أنت رسول الله ، فضّلك الله برسالاته وبكلامه**

على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها . نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد . اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولم يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتون محمد ﷺ :

وفي رواية : « فيأتون فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول أمتي يارب ، أمتي يارب ، فيقال : أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوي ذلك من الأبواب » ثم قال : « والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصري » رواه البخاري (٤٧١٢) مسلم (١٠٢٢) .

## الشرح :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنهم كانوا مع النَّبي ﷺ في دعوة فقدمت إليه الذراع ، فنهس منها نهسة وكانت تعجبه ، ( الذراع ) : يعني ذراع الشاه - وكانت تعجب النَّبي ﷺ لأن لحمها أطيب ما في الجسم من اللحم ، ليس دسماً وسريع الهضم ومفيد ، وكانت تعجب النَّبي ﷺ فنهس منها نهسة ثم حدثهم هذا الحديث العجيب فقال : ( أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ) ولاشك أنه ﷺ سيد ولد آدم

وأشرف بني الإنسان عند الله - تبارك وتعالى - أتدرون ممّ ذلك ؟ قالوا : لا يارسول الله ، فساق لهم بيان شرفه وفضله - ﷺ - على جميع بني آدم ، ذكر أن الناس يحشرون يوم القيامة في صعيد واحد أولهم وآخرهم كما قال عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [ الواقعة : ٤٩ - ٥٠ ] يجتمعون في صعيد واحد والأرض يومئذ ممدودة ليست كهيئتها اليوم كروية لا ترى - إذا مددت بصرك - لاترى إلا مايواجهك من ظهرها فقط ، أما يوم القيامة ، فإن الأرض تمد مد الجلد وليس فيها جبال ولا أودية ولا أنهار ولابحار تمد مداً واحداً والعالم فيها يسمعهم الداعي وينفذهم البصر - يعني لو تكلم الإنسان يسمعهم آخر واحد - والبصر ينفذهم ، يراهم ، لأنه ليس بها تكور حتى يغيب بعض عن بعض ولكن كلهم في صعيد واحد ، في ذلك اليوم تدنو الشمس من الخلائق على قدر ميل، ويلحقهم من الغم والكرب مالا يطيقون ولايحتملون ، فتضيق بهم الأرض، ويطلبون الشفاعة لعل أحداً يشفع فيهم عند الله - جل وعلا - وينقذهم من هذا الموقف العظيم على الأقل ، يلهمهم الله - عز وجل - أن يأتوا إلى آدم أبي البشر فيأتون إليه ويبينون فضله ، لعله يشفع لهم عند الله- عز وجل- يقولون له: أنت آدم أبو البشر - كل البشر من بني آدم : الذكور والإناث إلى يوم القيامة، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته ، قال الله تعالى منكراً على إبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ ص : ٧٥ ] خلقه الله بيده وخلق بقية البشر بكلمة ( كن فيكون ) أما آدم خلقه جلا وعلا بيده ) فيقولون ( **خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته** ).

قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ [ البقرة : ٣٤ ] ، ( وعلمك أسماء كل شيء ) قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة ٣١] ( ونفخ فيك من روحه ) : قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ [ الحجر : ٢٩ ] كل هذا يعلمه الخلق ولاسيما [١] أمة محمد

---

(١) لاسيماً : المراد خصوصاً .

الذين أعطاهم الله – تعالى – من العلوم مالم يعط أحداً من الأمم . فيعتذر ويقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله ولن يغضب مثله قط ، ثم يذكر خطيئته : أن الله سبحانه وتعالى نهاه أن يأكل من شجرة فأكل قال الله تعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [ البقرة : ٣٥ ] . شجرة في الجنة لاندري ماهذه الشجرة ولانوعها ولاكبرها ولا صغرها ، شجرة أبهمها [١] عز وجل .

فعلينا أن نؤمن بها مبهمة ، فنهى آدم أن يأكل منها ، وبين له أنه إذا أكل منها هو وزوجه فإنهما يكونان من الظالمين ، ولكن عدوهما الشيطان دلاهما بغرور ووسوس لهما ﴿ **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)** ﴾ [ الأعراف : ٢١ ] ، فغرَّهما ونسي آدم ماعهده إليه الله – عز وجل – ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** ﴾ [ طه : ١٢١ ] نسي وأكل من الشجرة فعوقب بأن أخرج من الجنة إلى الأرض لحكمة يريدها الله – عز وجل – فيذكر معصيته ويقول : نفسي نفسي يعني عسى أن أنقذ نفسي ، ويؤكد ذلك ويكرره ثلاث مرات : اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح ، ونوح هو الأب الثاني للبشرية لأن الله أغرق جميع أهل الأرض الذين كذبوا نوحاً ﴿ **وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ** ﴾ [ هود : ٤٠ ] وكان نوح هو الأب الثاني للبشرية ،اذهبوا إلى نوح فيأتون إلى نوح لأنهم في شدة وضيق، فيأتونه ويذكرون نعم الله وأنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض وأن الله سماه عبداً شكوراً ، ولكنه يقول كما قال آدم في غضب الله – عز وجل – : « **إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قط ولن يغضب مثله** » ثم ذكر دعوته التي دعا بها على قومه : ﴿ **رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾ [ نوح : ٢٦ ] .

**وفي رواية أنه يذكر دعوته التي دعا بها لابنه:**

﴿ **فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن**

(١) أبهمها : لم يوضح نوعها .

تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [ هود: ٤٥ - ٤٦ ] .

يذكر ذنبه والشافع لايشفع إلا إذا كان ليس بينه وبين المشفوع عنده مايوجب الوحشة ، فيذكر معصيته ويقول : نفسي نفسي ويحيلهم إلى إبراهيم عليه السلام فيأتي الناس إليه ويقولون أنت خليل الله في الأرض ، ويذكرون من صفاته ، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند ربه فيعتذر ، ويقول ، إنه كذب ثلاث كذبات ، ويقول : نفسي نفسي نفسي .

**والكذبات هي :**

**الأولى قوله :** ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [ الصافات : ٨٩ ] ، وهو ليس بسقيم ، لكنه قال متحدياً لقومه الذين يعبدون الكواكب .

**والثانية قوله للملك الكافر :** ( هذه أختي ) يعني زوجته وهي ليست كذلك ليسلم من شره - وهي ليست كذلك - .

**والثالثة قوله :** ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [ الأنبياء : ٦٣ ] أي الأصنام ، لأن إبراهيم عليه السلام ذهب إلى أصنامهم وكسرها ، فلما رجعوا وجدوها مكسرة قالوا : ﴿ مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ﴾ [ الأنبياء : ٥٩ ] ، فقالوا : ( فعله فتي يقال له إبراهيم ) وجرى بينهم وبين إبراهيم ماجرى ، وقال لهم : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ [ الأنبياء : ٦٣ ] ، وهو مافعل ، وإنما الذي فعله هو إبراهيم عليه السلام لكن ذكر ذلك على سبيل التحدي لهؤلاء الذين يعبدون الأوثان . هذه كذبات في ظاهر الأمر لكنها في الحقيقة وبمناسبة تأويلة - عليه السلام - لم تكن كذبات ، لكنه لشدة ورعه وحيائه من الله - تبارك وتعالى - اعتذر لهذا الإثم ويقول : نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون إلى موسى ويذكرون من صفاته وأن الله - تعالى- كلمة تكليماً واصطفاه على أهل الأرض برسالاته وكلامه ، فيذكر ذنباً ويعتذر ، يذكر أنه قتل نفساً قبل أن يؤذن له في قتلها ، وهو القبطي الذي

كان في خصام مع رجل من بني اسـرائيل ، وموسي من بني إسرائيل ﷺ والقبطي من أهــل فرعون﴿ **فَاسْتَغَاثَـهُ الَّذي من شيعَتــه عَـلَى الَّذي منْ عَــدُوِّه فَوكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَــىٰ عَلَيْـه** ﴾ [ القصص : ١٥ ] .دون أن يؤمـر بقتلها ، وقال : نفـسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غـيري ، إذهبوا إلى عيسى ، فيـأتون إلى عيسى خلق بلا أب ، فلا يـذكر ذنبـاً ، ولكنه يحيلهم إلى مـحمـد ﷺ وهذا شرف عظيم لـرسول الله ﷺ حيث كان أربعـة من الأنبياء يعتـذرون بذكر مافعلوه ، وواحـد لايعتذر بشيء ولكن يرى أن محـمداً ﷺ أولى منه فيـأتون إلى رسول الله ﷺ فيـقبل ذلك ، ويسجد تحت العرش ويفتح الله عليه من المحامد والثناء على الله مالم يفتحه على أحد غيـره ، ثم يقال له : « **ارفع رأسك ، وقل تسـمع ، وسل تعطه ، واشفع تشـفع** » ، فشفع ﷺ بقول : يارب أمـتي أمتي .فيقبل الله شفاعـته ويقول له : أدخل أمتك من الباب الأيمن من الجنة وهم شركاء مع الناس في بقـية الأبواب ، وهذه فيها دلالة ظاهرة على أن النَّبي ﷺ أشرف الرسل ، والرسل هم أفضل الخلــق كما قال عــز وجــل ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُـولَ فَـأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْــهِم مِّنَ النَّبِــيِّينَ وَالصِّــدِّيقِينَ وَالشُّــهَـدَاءِ وَالصَّالحِـينَ** ﴾ [ النسـاء : ٦٩] ، هـؤلاء هم الأصناف الأربعة الذين هم أفضل الخلق ، والنبي ﷺ أفضلهم [١] .



(١) شرح الحديث رقم(١٨٦٦) من «رياض الصالحين» .

## الشفاعـــة

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يجمع الله ، تبارك وتعالى ، الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم صلوات الله عليه ، فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : هل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ! لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله ، قال : فيأتون إبراهيم ، فيقول إبراهيم : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً ، فيأتون كلمة الله وروحه فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك - فيأتون محمداً ﷺ ، فيقوم فيؤذن له ، وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً ، فيمر أولكم كالبرق » قلت بأبي وأمي ، أي شيء كمر الطير ؟ قال : « ألم تروا كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم يمر الريح ثم يمر الطير ؟ وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم ، ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم ، سلم حتى تعجز أعمال العباد ، وحتى يجيء الرجل لايستطيع السير إلا زحفاً ، وفي حافتي الصراط كلاليب [1] معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به ، فمخدوش ناج ومكردس في النار» والذي نفسي أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً »** رواه مسلم (١٩٥).

■ **وقوله :** « وراء وراء » هو بالفتح فيهما وقيل : بالضم لاتنوين ، ومعناه : لست بتلك الدرجة الرفيعة ، وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع ، وقد بسطت معناها في « شرح صحيح مسلم » والله أعلم .

قال المؤلف-رحمه الله- فيما نقله عن حذيفة، وأبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة وذلك أن النَّبي ﷺ وعده ربه أن يبعثه مقاماً محموداً فقال جل وعلا : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [ الإسراء : ٧٩ ]،

---

(١) كلاليب : المراد خطاطيف .

وإذا جاءت ﴿ عَسَىٰ ﴾ من الله فهي واجبة ، بخلاف عسى من الخلق ، فإنها من الترجي فإذا قلت عسى الله أن يهديني ، عسى الله أن يغفر لي، عسى أن يرحمني ، فهذا رجاء . أما إذا قال الله ﴿ عَسَىٰ ﴾ فهذا وعد ، لذلك قالوا : « عسى من الله واجبة » مثل قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ [ النساء : ٩٩] وقوله : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ [ المائدة : ٥٢] وما أشبه ذلك .

فالله عز وجل وعد نبيه أن يبعثه مقاماً محموداً

أي مقاماً يحمده فيه الأولون والآخرون ، وذلك من عدة أوجه منها حديث الشفاعة ، فإن الناس يبعثون يوم القيامة حفاة عراة غرلاً ، حفاة لايلبسون النعال ، وعراة ليس عليهم ثياب ، وغرلاً أي غير مختونين ، يعني أن ماقطع فيهم في الدنيا أثناء الختان سيعود إليهم يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ [ الأنبياء : ١٠٤ ] .

فيجمع الله الخلائق والشمس فوقهم قدر ميل ، أهوال عظيمة يشاهدون الجبال تمر مر السحاب ، تكون هباء منثوراً فيلحقهم من الهم والغم مالا يطيقون ، فيقول بعضهم لبعض : ألا تطلبون من يشفع لنا عند الله ، فيذهبون إلى آدم ويطلبون الشفاعة ، فيذكر خطيئته التي وقعت منه .

والخطيئة التي وقعت منه أن الله سبحانه وتعالى قال له ولزوجه حين أسكنهما الجنة : ﴿ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ البقرة : ٣٤ ] شجرة عينها الله عز وجل وليس لنا في معرفة نوعها كبير فائدة ولهذا فنحن لانعرف نوع هذه الشجرة ، هل هي من شجر الزيتون ، أم من الحنطة ، أم من العنب ، أم من النخل ، لاندري ، فالواجب أن نبهمها كما أبهمها الله عز وجل، ولو كان لنا في تعيينها فائدة لبينها الله عز وجل . فقال عز وجل لآدم وحواء : ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فأتاهما الشيطان فوسوس لهما ،

ودلاهما بغـرور ، وقاسمـهما إنـي لكما من الناصحين ، وهكذا يـفعل في بني آدم يغررهم ويوسوس لهم ويقسم لهم إني ناصح وهو كذاب .

فالشـاهد من حديثنا أن آدم عليه السلام وقد أخطأ هو وزوجـته ، وذلك بأكلهـما من الشجـرة التي حظرها الله عليهمـا ، ولكنه تاب إلى الله تعالى من ذلك ، فـأمره الله سبحـانه أن يهبط هو وزوجته إلى الأرض فـهبطا وكانت منهمـا هذه الذرية ، فمنهم الشهداء والرسل والأنبياء الصالحين ، ومنهم غير ذلك من أهل الفساد والكفر والنفاق والإلحاد والضلال .

فعندما يذهب الناس إلى آدم عليه السلام في هذا الموقف العظيم يوم القيامة يعتذر عن مساعدتهم ويتذكر خطيئته التي أخرجته من الجنة .

أما القصة التي تروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب خروج آدم وحواء من الجنة، وأن حواء حملت فجـاءها الشيطان فقال لها سم الولد عـبد الحارث ، أو لأجعلن له قرنا ، فيخرج من بطنك فـيشقه فأبيا أن يطيعاه ، فجـاءهم في المرة الثانية ، فأبيا أن يطيعاه ، فجاءهم في المرة الثـالثة فأدركهما حب الولد فسميـاه عبد الحارث ، وجعل ذلك تفسيراً لقوله تعالى :

**﴿ هُوَ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** [ الأعـراف : ١٨٩ - ١٩٠ ] فإن هذه القـصة قـصة مكذوبة ليـست بصحيـحة ، وحتى إن صحت عنه ابن عـباس فإنه رضي الله عنه ممن عرفـوا بالأخذ من بني إسرائيل ، فتكون هذه القصة من الإسرائيليات .

فنحن نعلم من خلال حديث الشفاعة وما تقـرر من عصمة الأنبياء أن هذا الفعل لايصح من آدم أبداً ، لأنه شرك والشرك لايقع من الأنبياء .

يعتذر آدم عن الشفاعة فيأتي الناس نوحاً عليه السلام وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض ، فيخاطبه الناس بهذه المنقبة فيقولون له : أنت أول رسول بعثه الله إلى الأرض اشفع لنا عند ربك ، فيعتذر لأنه سأل ربه ماليس له به من علم وذلك حين قال :﴿ **رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ .

[ هود : ٤٥ ] .

وكان لنوح ولد كافر به ، وَلَدُ رسولٍ ولكنه كفر بالرسول والعياذ بالله ، لأن النسب لاينفع الإنسان ، فإن ابن العالم لا يأتي عالماً ، بل قد يكون جاهلاً ، وكذلك ابن العابد لايأتي عابداً ، قد يكون فاسقاً فاجراً ، ابن الرسول قد لايكون مؤمناً بل هذا ابن نوح عليه السلام أحد أبنائه كان كافراً ، كان أبوه يقول :﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [ هود : ٤٢ ] فيجيبه قائلا :﴿ **قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ [ هود :٤٣ ] .

فيعتذر نوح بأنه سأل ماليس له به علم ، والشافع لابد أن لايكون بينه وبين المشفوع إليه جفوة ، لأن الشافع إذا كان بينه وبين المشفوع إليه جفوة ، فكيف يكون شافعاً ، الشافع لابد أن يكون بينه وبين المشفوع إليه صلة قوية لايخدشها شيء ، مع أن نوحاً عليه السلام غفر الله له ، وآدم غفر الله له ، اجتباه ربه فتاب ، فغفر الله له ،ولكن لكمال مرتبتهم وعلو مقامهم ، جعلوا هذا الذنب الذي غفر لهم مانعاً عن الشفاعة ، كل هذا تعظيماً لله عز وجل ، وحياءً منه ،وخجلا منه .

ثم يأتون إلى إبراهيم عليه السلام خليل الله عز وجل ، فيعتذر ويقول : إنه كذب في ذات الله ثلاث كذبات ، وهذه الكذبات التي كذبها ليست كذباً في الواقع ، لأنه عليه الصلاة والسلام ، قد تأول فيها ، والتأول ليس بكذب ، لكن لشدة تعظيمه لله عز وجل ،رأى أن هذا مانع للشفاعة أي من أن يتقدم للشفاعة لأحد .

**ثم يأتون موسى ويقولون له** : إن الله كلمك ، وكتب لك التوراة بيده ، فيعتذر بأنه قتل نفساً لم يؤمر بقتلها ، وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام كان من أشد الرجال وأقواهم ، فمر ذات يوم برجلين يقتتلان ، هذا من شيعته ، يعني من بني إسرائيل ، وهذا من عدوه يعني من آل فرعون من القبط ، فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه ، يعني طلب منه أن يغيثه وأن يعيذه على هذا الرجل ، فوكزه موسى أي وكز الذي من عدوه فقضى عليه أي أهلكه ومات بوكزة واحدة ، لأنه كان قوياً شديداً عليه الصلاة والسلام ، فقال : ﴿ **هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ** ﴾ [ القصص : ١٥ ] . وفي الصباح وجد صاحبه الذي بالأمس ينازع مع شخص آخر ، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** ﴾ [ القصص : ١٨ ] يعنى بالأمس كنت تنازع رجلاً واليوم تنازع آخر فهمَّ موسى أن يبطش بالذي هو عدو لهما فقال له الإسرائيلي : ﴿ **أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ** ﴾ [ القصص : ١٩ ] وكان الناس يحسبون من الذي قتل الرجل بالأمس ، ففطن لذلك الفرعون ، فأخبر الناس أن موسى قاتله .

ثم يذهبون إلى عيسى عليه السلام ويقولون له : أنت كلمة الله وروحه ، كلمة الله يعني : أنك خلقت بكلمة الله وروحه : أي أنك روح من أرواح الله عز وجل التي خلقها ، فيعتذر ولكنه لايذكر ذنباً ، أو لايذكر شيئاً يعتذر به ، فيحيلهم إلى النَّبي ﷺ ، فيقول : اذهبوا إلى محمد ، عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتون إلى النَّبي ﷺ فيقوم فيؤذن له ، فيشفع ، أي يشفع في الناس حتى يقضي بينهم .

**وفي هذا الحديث :** أن الأمانة والرحم يقفان على جانبي الصراط ، والصراط : جسر ممدود على متن جهنم ، واختلف العلماء في هذا الجسر ، هل هو جسر واسع أم هو جسر ضيق ، ففي بعض الروايات أنه أدق من الشعر وأحد من السيف ، ولكن الناس يعبرون عليه ، والله على كل شيء قدير .

وعلى هذا الجسر كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، فمن الناس من يخطف فيلقى في النار ، ومنهم من يمر سريعاً كلمح البرق ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، أو كالريح حسب درجاتهم وأعمالهم ، تجري بهم أعمالهم ، كل من كان في هذه الدنيا أسرع إلى التزام صراط الله عز وجل واتباع شريعته ، كان هذا الصراط أسرع مروراً ، ومن كان متباطئا عن الشرع في الدنيا ، ومن كان متباطئا في الدنيا كان متباطئاً على الصراط ، ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم كل يخاف على نفسه ، لأن الأمر ليس بهين ، الأمر شديد ، الناس فيه أشد مايكونون خوفاً ووجلاً حتى يعبر المسلمون هذا الصراط إلى الجنة ، ومن الناس من يكردس في نار جهنم ويعذب على حسب عمله .

أما الكفار الخُلّص فإنهم لايصعدون هذا الصراط ولايمرون عليه ، بل يذهب بهم إلى جهنم قبل أن يصعدوا هذا الصراط ، ويذهب بهم إلى جهنم وردا،وإنما يصعده المؤمنون فقط ، لكن من كان له ذنوب لم تغفر فإنه قد يقع في نار جهنم ، ويعذب بحسب أعماله والله أعلم [١] .



(١) شرح الحديث رقم (٢٠١) من «رياض الصالحين» .

## ماجاء في قول الله تعالى

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَة ﴾ [ الزمر : ٦٧ ]

عن ابن مسعود ﷺ . قال : [ جاء حبر[١] من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ! إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول : أنا الملك . فضحك النَّبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر . ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [ الزمر : ٦٧ ] . رواه البخاري (٤٨١١) مسلم (٢٧٨٦) .

### الشرح :

قوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا ﴾ الضمير يعود على المشركين .و ﴿ قَدَرُوا ﴾ عظموا أي : ماعظموا الله من تعظيمه حيث أشركوا به ما كان من مخلوقاته .

قوله : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ يحتمل أن تكون الواو للحال . أي : ماقدروا الله حق قدره في هذه الحال . ويحتمل أن تكون للاستئناف لبيان عظمة الله - عز وجل - وهذا أقوى . لأنه يعلم هذه الحال وغيرها . والقبضة : هي ما يقبض باليد . وليس المراد بها الملك كما قيل .... نعم . لو قال : والأرض في قبضته لكان تفسيرها بالملك محتملاً .

قوله : ﴿ جَمِيعً ﴾ حال من الأرض . فيشمل بحارها وأنهارها وأشجارها وكل ما فيها . الأرض كلها جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات على عظمها وسعتها مطويات بيمينه .

قال الله - عز وجل - : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا

---

(١) حَبر : المراد عالم من علماء أهل الكتاب

أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ [ الأنبياء: ١٠٤ ] قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [ الزمر : ٦٧ ] هذا تنزيه له عن كل نقص وعيب ومما ينزه عنه هذه الأنداد . ولهذا قال: ﴿ وَتَعَالَى ﴾ أي : تُرَفَّع ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي : عن كل شرك يشركونه به . سواء جعلوا الخالق كالمخلوق أو العكس .

قوله : [ **الحبر** ] الحبر : هو العالم الكثير العلم . والحبر شابه البحر في اشتقاق الحروف . ولهذا كان العالم أحياناً يسمى بالحبر وأحياناً بالبحر قوله : « إنا نجد » . أي في التوراة .

قوله : « فضحك النَّبي ﷺ » ولولا ما بعدها لاحتملت أن تكون إنكاراً . لأن من حدثك بحديث لاتطمئن إليه ضحكت منه لكنه قال :« تصديقاً لقول الحبر » فكانت إقرارا لا غير . ويدل لذلك قوله : ثم قرأ : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [ الزمر : ٦٧ ] .

فهذا يدل على أنه ﷺ أقره واستشهد لقوله بآية من كتاب الله فضحكه واستشهاده تقرير لقول الحبر . وسبب الضحك هو سروره حيث جاء في القرآن مايصدق ما وجده هذا الحبر في كتبه . لأنه لاشك أنه إذا جاء ممايصدق القرآن . فإن الرسول ﷺ سوف يسر به . وإن كان الرسول ﷺ يعلم علم اليقين أن القرآن من عند الله .

لكن تضافر البينات مما يقوي الشيء . أرأيت أسامة بن زيد وأبوه زيد بن حارثة؟ هل كان عند النَّبي ﷺ شك في أن أسامة ابن لزيد ؟ .

## الجواب :

ليس عنده في ذلك شك ولما مر بهما مجزز المدلجي - وهو من أهل القيافة - وقد تغطيا بقطيفة لم يبد منهما إلا أقدامهما فنظر إلى أقدامهما فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض [١]. فسر النَّبي ﷺ سروراً عظيماً حتى دخل على عائشة مسروراً

---

(١) رواه البخاري ( ٦٧٧٠ - ٦٧٧١) مسلم (١٤٥٩) . .

تبرق أسارير وجهه لأن في ذلك تأييداً للحق . وكان المشركون يقدحون في أسامة بن زيد وأبيه لاختلاف ألوانهما . فكان أسامة أسود شديد السواد وأبوه زيد أبيض من القطن لكن الأمر ليس كما قالوا . بل هم كاذبون في ذلك . واختلاف اللون لايوجب شبهة إلا لذي هوى . فلعل المخالف في اللون نزعه عرق .

قوله : « **أصبع** » واحدة الأصابع . وهي مثلثة الأول والثالث ففيها تسع لغات والعاشر أصبوع . وفي هذا يقول الناظم :

وهمز أنملة ثلث وثالثة      التسع في أصبع واختم بأصبوع

قوله : « **أنا الملك** » هذه الجملة تفيد الحصر . لأنها اسمية معرفة الجزئين . ففي ذلك اليوم لا ملك لأحد . قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ [ غافر : ١٦ ] .

وكل الناس الملوك منهم والمملوكون على حد سواء يحشرون حفاة عراة غرلا . وبهذا يظهر ملكوت الله - عز وجل- في ذلك اليوم ظهوراً بيناً لأنه -سبحانه وتعالى- ينادي : لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه : ﴿ **لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **الْمُلْكُ** ﴾ أي : ذو السلطان وليس مجرد المتصرف بل هو المتصرف فيما يملك على وجه السلطة والعلو . وأما ﴿ **الْمُلْكُ** ﴾ فدون ذلك . ولهذا يمدح نفسه تعالى بأنه الملك .

وقوله تعالى : ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [ الفاتحة : ٤ ] .

فيها قراءتان : ﴿ **مَلَك ، مَالِك** ﴾ ليتبين بذلك أنه ملك مالك فملك الله تعالى متضمن لكمال السلطان والتدبير والملك بخلاف غيره فإن من ملوك الدنيا من يكون ملكاً لا يملك التصرف . ومنهم المالك وليس بملك .

قوله : [ **حتى بدت نواجذه** ] أي : ظهرت . ونواجذ : جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس . وهذا الضحك من النبي ﷺ تقرير لقول الحبر . ولهذا قال ابن

مسعود [ تصديقاً لقول الحبر ] ولو كـان منكراً ما ضحك الرسول ﷺ ولا استشهد بالآية . ولقال له : كذبت كما كذب الذين ادعوا أن الذي يزني لايرجم .

ولكنه ضحك تصـديقاً لقول الحبـر وسروراً بأن ماذكره موافق لما جـاء به القرآن الذي أوحى إلى محمد ﷺ .

**قوله :** ثم قـرأ : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [ الزمر : ٦٧ ] هذا معنى الآية التي لاتحتمل غيره، وأن السموات مطويات كطي السجل للكتب بيمينه أي : يده تبارك وتعالى لأن ذلك تفسيره ﷺ وتفسيره في الدرجة الثانية من حيث الترتيب . لكنه كالقرآن في الدرجة الأولى من حيث القبول والحجة .

**وأما تفسير أهل التحريف :** فيقول بعضهم : ﴿ **قَبْضَتُهُ** ﴾ أي : في قبضته وملكه وتصـرفه وهو خطأ لأن الملك والتـصرف كائن يوم القـيـامة وقـبله . وقـول بعضهم : ﴿ **وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ أي : تالفة وهالكة . كما تقول : انطوى ذكر فلان . أي: زال ذكره ﴿ **بِيَمِينِهِ** ﴾ أي : بقسمه ، لأنه قال تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾ [ الرحمن : ٢٦ - ٢٧ ] .

فجعلوا المراد باليمن القسم . . . إلى غير ذلك من الخرافات التي يلجأ إليها أهل التحريف وهـذا لظنهم الفاسد بالله حيث زعـموا أن إثبات مثل هذه الصفـات يستلزم التمـثيل فصاروا ينكرون مـا أثبته الله لنفـسه وما أثبتـه رسوله وسلف الأمة بشبـهات يدعونها حججاً فيقال لهم : هل أنتم أعلم بالله من الله ؟ إن قالوا : نعم ؟ كفروا . وإن قالوا: لا قلنا :هل أنتم أفصح في التعبير عن المعاني من الله ؟ إن قالوا : نعم : كفـروا وإن قالـوا : لا خصمـوا وقلنا لهم : إن الله بين ذلك أبلغ بيـان بأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامـة . والرسول ﷺ أقر الحبر على ماذكر فيما يطابق الآية . وهل أنتم أنصح من الرسول ﷺ لعـباد الله ؟ فسيـقولون : لا . فإذا كان كـلامه تعالى أفصح الكلام وأصدقه وأبينه وأعلم بما يقـول لزم علينا أن نقول مثل ما قال عن نفسه ولسنا بمذنبين .بل الذنب على من صرف كلامه عن حقيقته التي أراده الله بها .

**ومن فوائد الحديث :**

إثبات الأصابع لله عز وجل – لإقراره ﷺ هذا الحبر على ما قال . والإصبع إصبع حقيقي يليق بالله – عز وجل – كاليد وليس المراد بقوله : [ **على إصبع** ] سهولة التصرف في السموات والأرض . كما يقوله أهل التحريف . بل هذا خطأ مخالف لظاهر اللفظ والتقسيم ولأنه ﷺ أثبت ذلك بإقراره . ولقوله ﷺ [ **إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن** ] . مسلم ( ٢٦٥٤ ) .

**وقوله :** [ **بين أصبعين** ] لايلزم من البينية المماسة ألا ترى قوله تعالى : ﴿ **وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ﴾ [ البقرة : ١٦٤ ] والسحاب لايمس الأرض ولا السماء وهو بينهما . وتقول عنيزة بين الزلفى والرس ولايلزم أن يكون موالياً له . فتبين أن البينية لاتستلزم الاتصال في الزمان أو المكان . وكما ثبت عنه ﷺ : أن الله – سبحانه وتعالى – يكون قبل وجه المصلي [١] ولايلزم من المقابلة أن يكون بينه وبين الجدار أو السترة التي يصلى إليها فهو قبل وجهه وإن كان على عرشه.

**ومثال ذلك :** الشمس حين تكون في الأفق عند الشروق أو الغروب فإن من الممكن أن تكون قبل وجهك وهي في العلو . فتبين بهذا أن هؤلاء المحرفين على ضلال وأن من قال : إن طريقتهم أعلم وأحكم فقد ضل .

**ومن المشهور عندهم قولهم :** طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

**وهذا القول على ما فيه من التناقض قد يوصل إلى الكفر فهو :**

**أولاً :** فيه تناقض لأنهم قالوا : طريقة السلف أسلم ولايعقل أن تكون الطريقة أسلم وغيرها أعلم وأحكم لأن الأسلم يستلزم أن يكون أعلم وأحكم . فلا سلامة إلا بعلم بأسباب السلامة والحكمة في سلوك هذه الأسباب .

---

(١) البخاري(٤٠٦) مسلم(٥٤٧) .

**ثانياً :** أين العلم والحكمة من التحريف والتعطيل ؟ .

**ثالثاً :** يلزم منه أن يكون هؤلاء المخالفون أعلم بالله من رسوله ﷺ وأصحابه. لأن طريقة السلف هي طريقة النَّبي ﷺ وأصحابه .

**رابعاً :** أنها قد تصل إلى الكفر لأنها تستلزم تجهيل النَّبي ﷺ وتسفيهه فتجهيله ضد العلم وتسفيهه ضد الحكمة وهذا خطر عظيم . فهذه العبارة باطلة حتى وإن أرادوا بها معنى صحيحاً . لأن هؤلاء بحثوا وتعمَّقوا وخاضوا في أشياء كان السلف لم يتكلموا فيها . فإن خوضهم في هذه الأشياء هو الذي ضرهم وأوصلهم إلى الحيرة والشك .

وصدق النَّبي ﷺ حين قال : { **هلك المتنطعون** } « رواه مسلم ( ٢٦٧٠ ) .

فلو أنهم بقوا على ما كان عليه السلف الصالح ولم يتنطعوا لما وصلوا إلى هذا الشك والحيرة والتحريف . حتى إن بعض أئمة أهل الكلام كان يتمنى أن يموت على عقيدة أمه العجوز [1] التي لاتعرف هذا الضلال .

**ويقول بعضهم :** ها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور . وهذا من شدة ماوجدوا من الشك والقلق والحيرة .

ولاتظن أن العقيدة الفاسدة يمكن أن يعيش الإنسان عليها أبداً لايمكن أن يعيش الإنسان إلا على عقيدة سليمة . وإلا ابتلي بالشك والقلق والحيرة .

**وقد قال بعضهم :** أكثر الناس شكاً عند الموت أهل الكلام وما بالك - والعياذ بالله - بالشك عند الموت . يختم للإنسان بضد الإيمان . لكن لو أخذنا العقيدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بسهولة وبما جرى عليه السلف ونقول كما قال الرازي وهو من علمائهم ورؤسائهم : رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن : أقرأ في الإثبات : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ { طه : ٥ } . يعني : فأثبت .

---

(١) المراد العقيدة الفطرية في قلب المؤمن دون خوض في جدال .

وأقرأ في النفي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [ الشورى : ١١ ] .
﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [ طه : ١١٠ ] .

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ، لأنه أقر قبل هذا الكلام فقال : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً. ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن .

والحاصل أن هؤلاء المنكرين لما جاء في الكتاب والسنة من صفات الله - عز وجل - اعتماداً على هذا الظن الفاسد أنها تقتضي التمثيل قد ضلوا ضلالاً مبيناً . فالصحابة ﷺ هل ناقشوا الرسول ﷺ في هذا . والذي نكاد نشهد به إن لم نشهد به أنه حين يمر عليهم مثل هذا الحديث يقبلونه على حقيقته . لكن يعلمون أن الله لا مثل له . فيجمعون بين الإثبات وبين النفي .

إذاً موقفنا من هذا الحديث الذي فيه إثبات الأصابع لله - عز وجل - أن نُقرَّ به ونقبله . وأن لانقتصر على مجرد إمراره بدون معنى فنكون بمنزلة الأميين الذين لايعلمون الكتاب إلا أماني . بل نقرؤه ونقول : المراد به إصبع حقيقي يجعل الله عليه هذه الأشياء الكبيرة، ولكن لايجوز أبداً أن نتخيل بأفهامنا أو أن نقول بألسنتنا : إنه مثل أصابعنا . بل نقول : الله أعلم بكيفية هذه الأصابع فكما أننا لانعلم ذاته المقدسة . فكذلك لانعلم كيفية صفاته. بل نَكِلُ علمها إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

قوله : [ ثم يهزهن ] [١] . أي : هزاً خفياً ليبين للعباد في ذلك الموقف العظيم عظمته وقدرته . وكان الرسول ﷺ يقرأ هذه الآية ويقبض يده ويبسطها يقول : « يهزهن » . فصار المنبر يتحرك ويهتز لأنه ﷺ كان يتكلم بهذا الكلام وقلبه مملوء بتعظيم الله تعالى .

فإن قلت : هل نهز أيدينا كما فعل النَّبي ﷺ ؟ .

---

(١) رواية مسلم (٢٧٨٦) « والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهُزُّهُنَّ ويقول : أنا الملك أنا الله » .

**فالجواب :**

إن هذا يختلف بحسب ما يترتب عليه ، فليس كل من شاهد أو سمع يتقبل ذهنه ذلك بغير أن يشعر بالتمثيل فينبغي أن نكف لأن هذا ليس بواجب حتى نقول : يجب علينا أن نبلغ كما بلغ الرسول ﷺ بالقول والفعل . أما إذا كنا نتكلم مع طلبة علم أو مع إنسان مكابر ينفي هذا ويريد أن يحول المعنى إلى غير الحقيقة فحينئذ نفعل كما فعل الرسول ﷺ فلو قال قائل : إن الله سميع بصير . لكن قال : سميع بلا سمع وبصير بلا بصر . مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام حين قرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [ النساء : ٥٨ ] .

وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه وأبو هريرة حين حدث به كذلك . رواه أبو داود (٤٧٢٨) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» .

**فهذا الإنسان الذي يقول :**

إن الله سميع بصير بلا سمع بلا بصر نقول له هكذا ، وكذلك الذي ينكر حقيقة اليد ويقول : إن الله لايقبض السماوات بيمينه وأن معنى قبضته ، أي : في تصرفه فهذا نقول له كما فعل الرسول ﷺ .

فالمقام ليس بالأمر السهل ، بل هو أمر صعب ودقيق للغاية ، فإنه يخشى من أن يقع أحد في محظور كان بإمكانك أن تمسك عنه وهذا هو فعل الرسول في جميع تصرفاته إذا تأملتها ، حتى الأمور العملية قد يؤجلها إذا خاف من فتنة أو من شيء أشد ضرراً ، كما أخر بناء الكعبة على قواعد إبراهيم خوفاً من أن يكون فتنة لقريش الذين أسلموا حديثاً . البخاري (١٢٦) مسلم (١٣٣٣) .

قوله : « والماء والثرى على إصبع » ، هذا لاينافي قوله : « الأرضين على

إصبع » . لأنه يقـال : « الماء والثرى على إصبع » . أي : الأرض كلهـا على إصبع ويراد بالإصبع الجنس . وإلا لتناقض مـع معنى الحديث الذي قبله : « الشـجر على إصبع والماء على إصبع والثرى على إصبع » إذ النكرة إذا كررت بلفظ النكرة .

فالثاني غـير الأول غالباً وإذا كـررت بلفظ المعرفة . فالثـاني هو الأول غالباً . فيقـال : الماء والثرى كناية عن الأرض كلها . أو إن الماء والثـرى على إصبع وسكت عن الباقي ؟ إما اختصاراً أو اقتصاراً[1] .



(١) « القول المفيد على كتاب التوحيد » ، (٢٨١ - ٢٨٧) طبعة القلم .

## احتجاج الجنة والنار

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال : { **احتجت الجنة والنار فقالت النار : في الجبارون والمتكبـرون . وقالت الجنة : في ضعفاء الناس ومساكـينهم فقضى الله بينهمـا : إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عـذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما عليّ ملؤها** } . رواه مسلم (٢٨٤٧) .

### الشرح :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . أن النَّبي ﷺ قال : { **احتجت الجنة والنار** } . يعني تحاجا فيما بينهما كل واحدة تُدلي بحجتها . وهذا من الأمور الغيبية التي يجب علينا أن نؤمن بها حتى وإن استبعدتها العقول وحار الإنسان وقال : كيف تتحاج الجنة والنار وهما جمادان ؟! .

فإننا نقـول إن الله سبحانـه وتعالى على كل شيء قدير وقـد أخبر الله سبـحانه وتعالى أن الأرض يوم القيامـة تحدث أخبارها بما أوحى الله إليها به فإذا أمـر الله شيئاً بأمر فإن هذا المأمور سيستجيب على كل حال . الأيدي يوم القيامة والألسن والأرجل والجلود كلها تشهـد مع أنها جماد وتشهـد على صاحبها مع أنهـا أقرب الناس إليه . لأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير .

فالجنة احتـجت على النار . والنار احتجت على الجنة . النار احتجت بأن فـيها الجبارين والمتكبرين .

الجبـارون أصحاب الغلظة والقسـوة . والمتكبرون أصحـاب الترفع والعلو الذين يغـمطون الناس ويردون الحق . كـما قـال النَّبي ﷺ في الكبـر : « إنه بطر الحق وغمط الناس » مسلم (٩١) .

فأهل الجبروت وأهل الكبرياء هم أهل النار والعياذ بالله وربما يكون صاحب النار

لين الجانب للناس حسن الأخلاق لكنه جبار بالنسبة للحق مستكبر عن الحق فلا ينفعه لين جانبــه وعطفه على الناس . بل هــو موصوف بالجــبروت والكبــرياء ولو كان لين الجانب للناس . لأنه تجبر واستكبر عن الحق .

**أما الجنة فـقالت إن فيهـا ضعفـاء الناس وفقراء الناس . فـهم في الغالب الذين يلينون للحق وينقادون له . وأما أهل الكبرياء والجبروت ففي الغالب أنهم لاينقادون .**

فقـضى الله عز وجل بينهمـا قال : { **إنك الجنة رحمـتي أرحم بك من أشاء** } . وقال للنار : { **إنك النار عذابي أعذب بك من أشاء** } .

**إنك الجنة رحمتي :** يعني أنها الدار التي أنشأت من رحمـة الله وليست رحمته التي هي صفته . لأن رحمته التي هي صفته وصف قائم به لكن الرحمة هنا مخلوق . أنت رحمتي يعني خلقتك برحمتي أرحم بك من أشاء .

وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء كقوله تعالى :

﴿ **يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ** ﴾ { العنكبوت : ٢١ } .

فأهل الجنة هم أهل رحمـة الله - نسأل الله أن يجعلني وإياك منهم - وأهل النار هم أهل عذاب الله .

ثم قال عـز وجل : { **ولكليكمـا عليَّ ملؤها** } . تكفل عز وجل وأوجب على نفسه أن يملأ الجنة ويملأ النار . وفضل الله سبحانه وتعالى ورحمته أوسع من غضبه . فإنه إذا كان يوم القيامة ألقى من يلقى في النار . وهي تقول : هل من مزيد . يعني أعطوني أعطوني زيدوا فـيضع الله عليهـا رجله . وفي لفظ : عليهـا قدمـه فينزوي بعضها على بعض . ينضم بعضها إلى بعض من أثر وضع الرب عز وجل عليها قدمه . وتقول : قط قط . يعني : كفاية كفاية وهذا ملؤها .

أما الجنة فإن الجنة واسعة ، عرضها السـموات والأرض يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل زائد على أهلها . فينشئ الله تعالى لها أقوامـاً فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته .

لأن الله تكفل لها بملئها .

ففي هذا دليل على أن الفقراء والضعفاء هم أهل الجنة . لأنهم في الغالب هم الذين ينقادون للحق . وأن الجبارين المتكبرين هم أهل النار والعياذ بالله . لأنهم مستكبرون على الحق وجبارون لا تلين قلوبهم لذكر الله ولا لعباد الله .

نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية [١] .



(١) شرح الحديث رقم (٢٥٤) من «رياض الصالحين» .

## صفات جهنم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال : [ **لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه . فتقول : قط قط وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض** ] رواه البخاري (٦٦٦١) مسلم (٢٨٤٨) (١) .

### الشرح :

■ **قوله :** « لاتزال جهنم يلقى فيها » : هذا يوم القيامة ، يعني : يلقى فيها الناس والحجارة ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ﴾ [ البقرة : ٢٤ ] ، وقد يقال : يلقى فيها الناس فقط ، وأن الحجارة لم تزل موجودة فيها ، والعلم عند الله .

« يلقى فيها » : في هذا دليل على أن أهلها - والعياذ بالله - يلقون فيها إلقاء لايدخلون ، بل يُدَعُّون إلى نار جهنم دَعًّا ، ﴿ **كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** ﴾ [ الملك : ٨ ] .

■ **قوله :** « وهي تقول : هل من مزيد ؟ » : ( هل ) : للطلب ، يعني : زيدوا ، وأبعد النجعة من قال : إن الاستفهام هنا للنفي ، والمعنى على زعمه : لامزيد على ما في ، والدليل على بطلان هذا التأويل :

■ **قوله :** « حتى يضع رب العزة فيها رجله ( وفي رواية : عليها قدماه ) » : لأن هذا يدل على أنها تطلب زيادة ، وإلا ، لما وضع الله عليها رجله حتى يزوي بعضها إلى بعض ، فكأنها تطلب بشوق إلى من يلقى فيها زيادة على ما فيها .

■ **قوله :** « حتى يضع رب العزة » : عبر برب العزة ، لأن المقام مقام عزة وغلبة وقهر .

---

(١) رواه البخاري (٧٣٨٤) مسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

وهنا ( رب ) ، يعني : صاحب ، وليست بمعنى الخالق ، لأن العزة صفة من صفات الله ، وصفات الله تعالى غير مخلوقة وقوله : « فيها رجله » ، وفي رواية : « عليها قدمه » : (في) و ( على ) : معناهما واحد هنا ، والظاهر أن (في) بمعنى (على) ، كقوله : ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [ طه : ٧١ ] ، أي : عليها .

أما الرجل والقدم ، فمعناهما واحد ، وسميت رجل الإنسان قدماً ، لأنها تتقدم في المشي ، فإن الإنسان لايستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدمها .

■ **قوله :** « فيزوي بعضها إلى بعض » ، يعني ينضم بعضها إلى بعض من عظمة قدم الباري عز وجل .

■ **قوله :** « وتقول : قط قط » بمعني: حسبي حسبي ، يعني : لا أريد أحداً.

## في هذا الحديث من الفوائد :

**أولاً :** إثبات القول من الجماد، لقوله: « وهي تقول » وكذلك: « فتقول: قط قط » ، وهو دليل على قدرة الذي أنطق كل شيء .

**ثانياً :** التحذير من النار ، لقوله : « لاتزال جهنم يلقى فيها ، وهي تقول هل من مزيد ؟ » .

**ثالثاً :** إثبات فضل الله عز وجل ، فإن الله تعالى تكفل للنار بأن يملأها كما قال : ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [ هود : ١١٩ ] ، فإذا دخلها أهلها ، وبقي فيها فضل ، وقالت : هل من مزيد ؟ وضع الله عليها رجله ، فانزوى بعضها إلى بعض ، وامتلأت بهذا الانزواء . وهذا من فضل الله عز وجل ، وإلا فإن الله قادر على أن يخلق أقواماً ويكمل ملأها بهم ، ولكنه عز وجل لايعذب أحداً بغير ذنب ، بخلاف الجنة ، ويبقي فيها فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ، فيخلق الله أقواماً يوم القيامة ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته .

**رابعاً :** أن لله تعالى رجلاً وقدماً حقيقية ، لاتماثل أرجل المخلوقين ، ويسمي أهل السنة مثل هذه الصفة : الصفة الذاتية الخبرية ، لأنها لاتعلم إلا بالخبر ،

ولأن مسماها أبعاض لنا وأجزاء ، لكن لانقول بالنسبة لله : إنها أبعاض وأجزاء ، لأن هذا ممتنع على الله عز وجل .

وخالف الأشاعرة وأهل التحريف في ذلك ، فقالوا : « يضع عليها رجله » ، يعني : طائفة من عباده مستحقين للدخول ، والرجل تأتي بمعنى الطائفة ، كما في حديث أيوب عليه السلام ، أرسل الله إليه رجل جراد من ذهب يعني : طائفة من جراد . رواه البخاري (٣٣٩١) والنسائي في الصغرى (٤٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وهذا تحريف باطل ، لأن قوله : « عليها » : يمنع ذلك .

وأيضاً : لايمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه ، لأن إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف . وقالوا في القدم : قدم ، بمعنى: مقدم ، أي يضع الله تعالى عليها مقدمه ، أي : من يقدمهم إلى نار .

وهذا باطل أيضاً ، فإن أهل النار لايقدمهم الباري عز وجل ، ولكنهم ﴿ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [ الطور : ١٣] ، ويلقون فيها إلقاء ، فهؤلاء المحرفون فروا من شيء ووقعوا في شر منه ، فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل ، لكنهم وقعوا في السفه ومجانبه الحكمة في أفعال الله عز وجل .

والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى قدما ، وإن شئنا قلنا : رجلاً ، على سبيل الحقيقة ، مع عدم المماثلة ، ولانكيف الرجل ، لأن النّبي ﷺ أخبرنا بأن لله تعالى رجلاً أو قدماً ، ولم يخبرنا كيف هذه الرجل أو القدم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [ الأعراف : ٣٣ ] .

والفائدة المسلكية [١] في هذا الحديث : هو الحذر الشديد من عمل أهل النار ، خشية أن يلقى الإنسان فيها والعياذ بالله [٢] .

---

(١) المسلكية : المراد التربوية .

(٢) شرح العقيدة الواسطية .

## نعيم أهل الجنة

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد : إن لكم أن تَحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحوا ، فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا ، وإن لكم أن تنعموا ، فلا تبأسوا أبداً** » رواه مسلم (٢٨٣٧) .

### الشرح :

النبي ﷺ أخبر أن أهل الجنة ينادي فيهم مناد : وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وذكر الحديث ، أي أنهم في نعيم دائم لايخافون الموت ولا السقم ولا انقطاع ماهم فيه من النعيم كما قال تعالى ﴿ **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾ [ الواقعة : ٣٢ - ٣٣ ] ، وأن لهم سوقاً كل يوم جمعه يعني في مقدار ذلك وإلا فالجنة ليس فيها صلاة ولا جمعة ولا غيرها ، وأنها تهب ريح الشمال فتزيدهم حسناً وجمالاً . والمراد ريح تشبه ريح الشمال في برودتها ولذتها ، وكل هذا المذكور في هذه الأحاديث يوجب للإنسان الرغبة في العمل الصالح الذي يتوصل به إلى هذه الدار - جعلنا الله وإياكم من أهلها وأحسن ما فيها وأنعم ما فيها أنهم ينظرون إلى الله - عز وجل - نظراً حقيقياً كما قال الله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [ القيامة : ٢٢ - ٢٣ ] وقال تعالى ﴿ **عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴾ [ المطففين : ٢٣ ] ،وقال تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ [ يونس : ٢٦] ، والزيادة هي : النظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلني وإياكم من أهلها [1] .

---

(١) شرح الحديث رقم (١٨٩٢) من «رياض الصالحين» .

## نعيم أهل الجنة

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ : قال : { **إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة . فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضي ياربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً** } رواه البخاري (٦٥٤٩) ومسلم (٢٨٤٩) .

وعن صهيب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ - قال : { **إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ؟ ،فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ ، فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم** } رواه مسلم (١٨١) .

### الشرح :

ذكر النَّبي ﷺ أن الله تعالى يحل على المؤمنين رضوانه فلا يسخط عليهم بعد ذلك أبداً ،ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة ثابتة بكتاب الله وسُنَّة رسوله وإجماع الصحابة وأئمة الأمة . ولم ينكرها إلا من أعمى الله قلبه - والعياذ بالله - ولهذا كانت هذه الأحاديث من الأحاديث المتواترة عن النَّبي ﷺ يقول الله - عز وجل : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ { القيامة : ٢٢ - ٢٣ ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ { يونس : ٢٦} وقد فسر أعلمُ الخلق بكتاب الله محمد ﷺ : الزيادة : أنها النظر إلى وجه الله - عز وجل - وقال الله تبارك وتعالى :﴿ **عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ** ﴾ { المطففين : ٢٣ } أي ينظرون ما أعد الله لهم من النعيم وأعلاه النظر إلى وجه الله وقال تعالى : ﴿ **لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** ﴾ { ق : ٣٥ } والمزيد هو الزيادة التي قال الله تعالى فيها :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [ يونس : ٢٦] .

والتي فسرها النَّبي ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى وقال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [ الأنعام : ١٠٣] .

فقوله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ يدل على أن الأبصار تراه ولكنها لاتدركه لأنه جل وعلا أعظم من أن تدركه الأبصار .

فهذه خمس آيات في كتاب الله كلها تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ولاينكر هذا إلا ظالم .

فنسأل الله - تعالى - أن يهديه إلى الحق أو أن يحرمه لذة النظر إلى وجهه . لأنه لاينكر هذا إلا معاند . إذ أن الآيات واضحة أما الأحاديث فإنها متواترة كما قال الناظم :

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية وشفاعة والحوض ومسح خفين وهذه بعض

رؤية : يعني رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة .

ومن ذلك أن النَّبي ﷺ قال : [ **إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون في رؤيته** ] [1] .

وقال : [ **إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب** ] والأحاديث كثيرة جداً .

ومن أحب أن يطلع عليها فليرجع إلى كتاب : ( حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ) . لابن القيم - رحمه الله -

نسأل الله تعالى أن يرزقنا وإياكم النظر إلى وجهه الكريم في جنات النعيم إنه على كل شيء قدير . والله الموفق [2] .

---

(١) البخاري (٥٥٤) مسلم (٦٣٣) .

(٢) شرح الأحاديث رقم (١٨٩٣) (١٨٩٤) من «رياض الصالحين» .

**الخاتمة :**

الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمامه ، وأسأل الله العظيم أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به عباده المؤمنين ، وأن يُثيبني ويجعله في ميزن حسناتي يوم القيامة ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ .

[ الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ ] .

وأسأل الله العلي القدير أن يُثيب كاتبه وقارئه ، وكل من ساهم في إخراجه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

جمع وتحقيق
صلاح الدين محمود السعيد
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



# فهرس




فاكـس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمـول : ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨